LAU
الجامعة اللبنانية الأميركية
Lebanese American University

أكاديميا فيليب سالم للتراث اللبناني

# جبران

## كتاب
# الرمل والزبد

صاغه بالعربية وقدَّم له
**هنري زغيب**

منشورات
**أكاديميا فيليب سالم للتراث اللبناني**

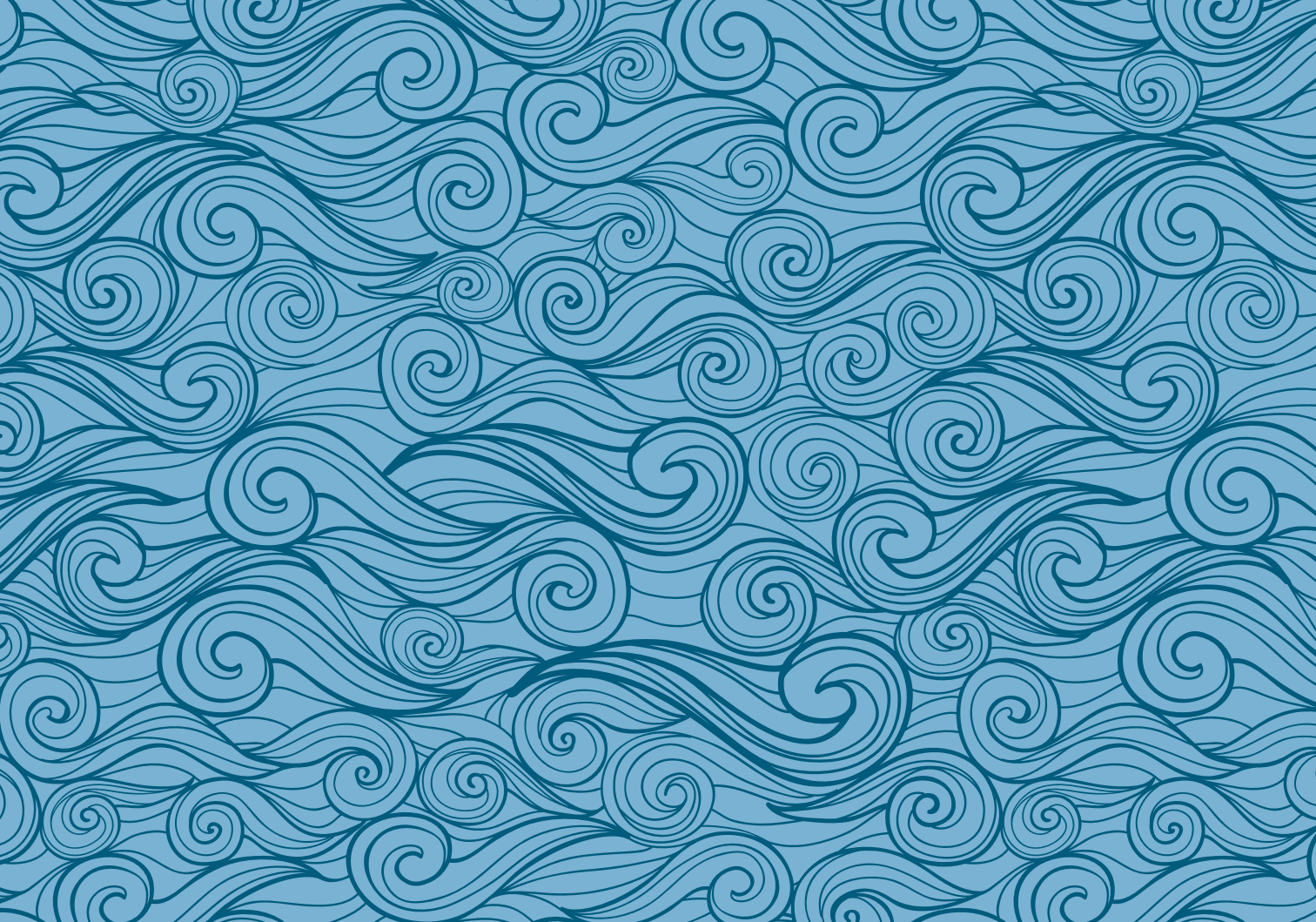

الغلاف، والرسوم الداخلية، والمنمنمات بين الخواطر، كان جبران وضعها خصيصًا لهذا الكتاب في طبعته الأُولى سنة ١٩٢٦. وتصدر في هذه الطبعة بإذنٍ خاصٍّ من لجنة جبران الوطنية، سمحَتْ بنشرها لمرة واحدة.

وهي مأْخوذة من المجموعة الكاملة لمتحف جبران في بشري.

كتاب

# الرَمل وَالزَبَد

## بطاقة مكتبية

اسم الكتاب: كتابُ الرَمل والزَبَد
المؤَلِّف : جبران خليل جبران
المترجم : هنري زغيب
الناشر : أَكاديمْيا فيليب سالم للتراث اللبناني – الجامعة اللبنانية الأَميركية LAU
الموضوع: خواطر فكرية وأَدبية وفلسفية
اللغة : عربية
عدد الصفحات: ١٦٠ صفحة
القياس : ١٤×٢٠ سنتم
الطبعة الأُولى: تموز ٢٠٢٦

ISBN: 9953-461-61-9
EAN: 978-995346161-8

© حقوق النشر محفوظة لـ«الجامعة اللبنانية الأَميركية» LAU

**مركز التراث اللبناني**
هاتف : ٦٤ ٦٤ ٧٨ (١ ٩٦١+)
بَريديًّا : ص ب: ٥٠٥٣-١٣ شوران ٢٨٠١ ١١٠٢
بيروت – لبنان
إِلِكْترونيًّا : clh@lau.edu.lb
موقِعًا : www.lau.edu.lb/centers-institutes/clh

© 2026 – Lebanese American University.
All rights reserved for this edition. No part of it may be reproduced or transmitted – in any means electronic or mechanical including photocopy recording or any information storage and retrieval system – without written permission from the Lebanese American University.

Concept and design: LAU/Stratcom.
Designed by Marianne Gaby Ziadeh.

LAU
الجامعة اللبنانية الأميركية
Lebanese American University

أكاديميا فيليب سالم للتراث اللبناني

# جبران

## كتاب
# الرمل والزبد

صاغه بالعربية وقدَّم له

**هنري زغيب**

منشورات

**أكاديميا فيليب سالم للتراث اللبناني**

«... عرضْتُ عليه فكرةَ جمْعِ تلك الخواطر المتناثرة بين أَوراقه، وإصدارِها في كتاب. هَزِئَ في البدء وقال: «فيها الكثيرُ من الرَمل والزَبَد». وإذ التقطْتُ عبارتَه واقترحتُ أَنْ يكونَ «الرَمل والزَبَد» عنوانُ الكتاب، لفَتَهُ الأَمر فاهتَمَّ للفكرة».

**باربرة يونغ**

الفصل التاسع من كتابها «**هذا الرجل من لبنان**»
(نيويورك ١٩٤٥)

كلمة الرئيس

# في مئويته الخامسة:
# ترجمة جديدة وأكاديمْيا فريدة

كأَنَّ لجامعتنا، مع جبران، مواعيدَ مئويةً متَتَاليةً، كما لنؤْمنَ أَكثر، كم أَنَّ هذا العبقريَّ اللبنانيَّ العالَميَّ يتجدَّد حيًّا كلَّ مئةِ عامٍ، في كلِّ أَثَرٍ تركَهُ للخُلود، فيولدُ من جديدٍ مع كلِّ مئوية، هو المُؤْمن بتَتَالي الولادات، كما قال في «النبي» بلسان «المصطفى» مخاطبًا أَهالي أُورفليس: «ما إِن يخبو صوتي في مسامعكُم، حتى أَعودَ إِليكُم، فَأُخاطبَكُم بقلْبٍ أَكثرَ غنًى، وشفَتَين أَكثرَ انصياعًا للروح، ونتحدَّثَ معًا من جديد، في حلْم جديد، ونبني معًا برجًا جديدًا في الفضاء».

وهي هذه، فعلًا، حكايتُهُ معنا لدى كلِّ مئَويةٍ من مؤَلَّفاته: يطلُّ كما ليَبني معنا «برجًا جديدًا في الفضاء».

ويكون أَنَّ «مركز التراث اللبناني» في جامعتنا يظلُّ حاضرًا ليحتفل في كلِّ مناسبةٍ جبرانية:

سَنَة ٢٠٠٥ احتفلَ بمئَوية «نبذة في الموسيقى» أَول كتاب لجبران بالعربية (نيويورك ١٩٠٥)، فنظَّم له في الجامعة أُمسيةً مسرحيةً موسيقيةً كوريغرافيةً غنائية من نصوص الكتاب.

وسنة ٢٠٠٨ احتفلَ بمئَوية «الأَرواح المتمردة» ثالثِ كتابٍ له بالعربية (نيويورك ١٩٠٨)، فنظَّم ستَّ محاضرات شهرية (كانون الثاني – حزيران ٢٠٠٨) تناولت ملامحَ متنوعةً عن جبران سيرةً ومسيرة.

وسَنَة ٢٠١٨ احتفلَ بمئَوية «المجنون» أَول كتاب له بالإنكليزية (نيويورك ١٩١٨)، فنظَّم «المؤْتمر الدولي الثالث للدراسات الجبرانية»، تعاوُنًا مع «كرسي جبران» في جامعة ميريلند

الأَميركية، مستضيفًا له محاضرين من لبنان والعالم. وهو مؤْتمر تنقَّل إِلى ثلاث دوَل: لبنان (حرَم LAU – بيروت)، فرنسا (معهد العالم العربي – باريس)، والولايات المتحدة الأَميركية (حرَم LAU – نيويورك).

وسَنَة ٢٠٢٣ احتفلَ بمئَوية «النبي» أَشهر كتاب له بالإِنكليزية (نيويورك ١٩٢٣)، فنظَّم في حرم LAU – بيروت مؤْتمرًا دوليًّا شارك فيه محاضرون من لبنان والعالم، وكان ختامُه احتفالًا مسرحيًّا مميَّزًا في الجامعة.

وهذه السنة ٢٠٢٦ احتفلَ «المركز» بمئَوية «رَمل وزَبد» رابع كتاب لجبران بالإِنكليزية (نيويورك ١٩٢٦)، في مناسبة مميَّزة لدى جامعتنا: انتقال اسم «المركز» إِلى «أَكاديمْيا فيليب سالِم للتراث اللبناني» على أَثَر هبةٍ خاصةٍ للجامعة من الدكتور سالم تُؤَكِّد دعمه الثقافي كلَّ ما يُسْهم في نشْر تراث لبنان الحضارة.

وكما مئويةُ «النبي» شهدَتْ صدورَ ترجمةٍ له جديدةٍ وضعها خصِّيصًا للجامعة الشاعر هنري زغيب، هي ذي، بين يديك في مئوية «كتاب الرَمل والزبَد»، ترجمةٌ جديدةٌ له وضعَها كذلك خصِّيصًا للجامعة، مُضيفًا إلى منشوراتنا الجامعية أَثَرًا جديدًا في سياقِ ما به تُؤْمنُ جامعتُنا بأَنَّ لها، مع الرسالة الأَكاديمية، رسالةً وطنيةً تجعل من ثمار التعليم العالي ركيزةً أَساسيةً في بناء لبنان.

شوقي عبدالله

**الدكتور شوقي عبدالله**

رئيس الجامعة

١١ تموز ٢٠٢٦

المقدمة

# رملٌ نابضٌ وزبَدٌ خصيب

الجدَل الذي انهالَ عند صُدُور ترجمتي كتابَ «النبي»[١]، إخالُهُ سَيَعُود مجدَّدًا مع صدور هذا الكتاب بالصياغة ذاتها.

وهذا طبيعيٌّ: في كلِّ جديدٍ مباغتَةٌ، إذًا عُرضةٌ للجدَل. فكيف إذا فيه «مباغتات»! وهو هذا ما يُميِّز شاعرًا مكرَّسًا عن نظَّام، وناثرًا مُجيدًا

١) طبعة فنية خاصة (١٤٤ صفحة حجمًا موسوعيًّا) – منشورات «مركز التراث اللبناني» – الجامعة اللبنانية الأميركية LAU – بيروت ٢٠٢٣ ضمن احتفالات الجامعة بمئوية صُدُور الكتاب (١٩٢٣–٢٠٢٣). وصَدرَتْ له عامئذٍ طبعةٌ ثانية لدى منشورات «سائر المشرق» (حجم عادي صغير – ١١٢ صفحة).

عن إنشائيّ. إذا القصيدةُ بلاغتُها في التكثيف، فبلاغةُ النضيدة (أَو النثيرة) في الإيجاز. هكذا يتقاربُ إبداعيًا جوهرُ القصيدة والنضيدة.

أَنت هنا، في خواطر «الرَمل والزبَد» الحكَمية، مباشرةً مع الإيجاز. قد لا يكون جبران تَعمَّدَه، تنصيعًا أُسلوبَه، لكنَّ مضمون الخاطرة لم يكُن يَحتملُ إطالةً، فاكتفى جبران بإيراد المضمون مقطوفًا على سجيَّته (بسطرٍ أَو اثنين، ونادرًا أَكثر). إخالُهُ كان يهتمُّ لِـ«ما» يريد إيصالَه لا لِـ«كيف» يوصلُ خواطره. وفيما كانت ماري هاسْكِل[٢] تُراجع كتاباته الإنكليزية، وتناقشُه فيها قبل مثولها إلى الطباعة، ذهبَ هذا الكتاب إلى الناشر دون اطِّلاع ماري عليه، فخرج بأُسلوب جبران التلْقائيّ من دون مراجعة.

٢) ماري إليزابيت هاسْكِل (١٨٧٣–١٩٦٤): هي المرأَة المثقَّفة التي رعَت جبران أَدبيًّا وماليًّا، وحتى عاطفيًّا، منذ تعرُّفها به (١٩٠٤). وكانت تنقِّح له نُصوصَه منذ كتابه الأَوَّل بالإنكليزيَّة («المجنون»–١٩١٨). كان لها على حياته وأَدبه فضلٌ وتأْثير، عبر مراسلة طويلة بينهما (١٩٠٤–١٩٣١) صدرَت في أَكثر من كتاب.

خواطرُ جبران في هذا الكتاب (سمَّاها هو في الأَصل «حِكَمًا» و«أَقوالًا» ووَسَمْتُها إِيجازًا بـ«خواطر»)، وحرصًا على الأَداء الأَكمل عند نقْلها بأَمانةٍ إِلى العربية، اتَّبعتُ فيها تجربتي وأَنا أُترجمُ «النبي». وهي تجربةٌ أَنضَجَها عمرٌ طويل يزيدُ على نصفِ قرنٍ من ترجمتي عددًا كبيرًا من الكتُب، ومن مراجعتي، تنقيحًا وتصويبًا، عددًا آخَر من ترجمات السوى، ما مكَّنني – مُؤَلِّفًا ومُترجِمًا – من تنصيعِ أُسلوبي وصَقْلِه، وتنقِيَةِ ما فيه من غُبار وثرثرة وتراكيبَ عتيقة مكرَّرة، بلوغًا إِلى الإِيجاز البليغ، فيُضيْءُ النصُّ المترجَم لائقًا بِلُغَة العصر الحديثة، ضمن احترامٍ كاملٍ أُصولَ اللغة ونُظُمَها وقواعدَها.

## ١. المراحل الثلاث

ترجمتي هذا الكتابَ مرَّت، كما ترجمتي كتابَ «النبي»، في مراحلَ ثلاثٍ:

١ | **ترجمةُ المعنى المباشِر:** نقْلًا أَمينًا مضمونَ النص الحرفيّ، لا شكلَه ولا تراكيبَ أُسلوبِه الإِنكليزي.

٢ | **الدخولُ إلى معنى المعنى:** وهو اختراقٌ حُجُبَ الكلماتِ بُلُوغًا مدلولَها الداخلي، عُمْقَها الآخَر في سياق الجملة. فالكلمةُ منفصلةً في ذاتها، قد تحتمل أَكثر من معنى حرفيّ. إِذَنْ لا تستقيمُ ترجمتُها إِلَّا في سياقها من النص. الترجمةُ الحرفية غالبًا ما تخرج كاريكاتوريةً في مؤَدَّاها حين تَنقُل الصياغةَ العربية مطابِقَةً صياغةَ اللغة الأَصلية. الترجمة تنقُل فكرةَ كاتبِها لا أُسلوبَه ولا صياغتَه. من هنا أَنَّ «العُمْقَ الآخر في سياق الجملة»، دخولٌ آمنٌ إلى فكْر جبران لا حرفيةِ نصِّه الإنكليزيّ. إنها خدمةُ أَفكارِه لا لُغتِه. وهذا هو الدخول إلى «معنى المعنى»[٣].

٣) أَفَضلُ من تبَسَّط في مفهوم «معنى المعنى»: عبدالقاهر الجرجاني (١٠٠٩–١٠٧٨) في كتابه «دلائل الإعجاز» (فصل «دلالة المعنى على المعنى»). ولاحقًا تناولَ هذا الموضوعَ الناقدُ البريطاني آيڤور آرمسترونغ ريتشاردز (١٨٩٣–١٩٧٩) I.A.Richards في كتابه الشهير «معنى المعنى» (١٩٢٣) The meaning of meaning.

٣-١ | **تنصيع اللغة والأُسلوب:** بعد هاتَين المرحلتَين (الأَمانة في نقْل المعنى، والدخول إلى معنى المعنى) وجَدْتُني وفَّيتُ جبرانَ حقَّه في إيصال فكره إلى العربية. لذا، في هذه المرحلة الثالثة، أَغلقْتُ النصَّ الإنكليزيَّ الأَصلي، ورحتُ أَعمل على نصِّيَ العربي صقْلًا وتنصيعًا، بذاكرة عذراء كأَني أُنقِّح نصًّا لسواي. فطالَما كنتُ أَمينًا في نقْليَ المضمونَ سليمًا بالإنكليزية، أَصبحَتْ مسؤُوليتي أَنْ أَسكُبَهُ في العربية بأُسلوبي، لأَنَّ ترجمة الأُسلوب الجبراني الأَصلي يُفكِّك نصَّه مترجَمًا ويُوْدي إلى خلَل واضح في العربية.

٣-٢ | **لكلِّ لغةٍ عبقريتُها الخاصة.** وإذ تستحيل ترجمةُ عبقريةِ اللغة الأَصلية، من الضروري الترجمةُ بعبقريةِ اللغة الجديدة. ترجمةُ النص حرفيًّا (وهو شرطُ الأَمانة وإِلَّا فهي خيانة) لا تعني نقْلَهُ بأَسلوب لغته الأَصلية، بل بأُسلوب اللغة الجديدة التي يلْبَسها النصُّ الأَصليّ. المطلوب إِذًا: الالتزامُ بترجمة النص الأَصلي لا ترجمة تركيبه. هنا، في

الترجمة إلى العربية، يَدخل تنصيع الأُسلوب: تقديم وتأْخير، البدء بجملة اسمية أَو البدء بالجملة الأَصلية من آخرها، استخدام المثنَّى لتوضيح العدد (لا مثنَّى في أَية لغة أَجنبية بل جمْعٌ لاثنين أَو لأَكثر)، علامات الوقف استعاضةً عن الكلمات، التوازن بين أَقسام الجملة ... المطلوبُ إذًا، في التأْليف كما في الترجمة، تنقيةُ العربية من غبارٍ متراكمٍ عليها منذ عصور، بين كلماتٍ سقطَت من التداوُل، وعباراتٍ تقليديةٍ مستهلَكَة مُكَرَّرة ما زالت تُستَعمَل ببغائيًّا، واعتمادُ الإيجاز ما أَمكن لتَفادي إعادة الغبار. البلاغةُ، في عبقرية الإيجاز. وتلفتُني هنا العبارة الإنكليزية Less is more (الأَقلُّ يعني الأَكثر) لِما فيها من دلالة بليغة. التصالحُ مع اللغة يكونُ بالدخولِ إلى مفاتيحها، وهي كثيرة ومبْدعة، واستخدامِها بما يخدمها تأْليفًا أَو ترجمةً. ولأَن منطق العبارة العربية (حين ليست مُشَكَّلَة) يستوجبُ أَخذَها في سياقها لقراءَتِها ففهْمِها، تفترضُ تراكيبَ جديدةً ليست خيانةً حين هي مقطوفةٌ من نُظُم اللغة. المهمُّ إصابةُ المعنى ولو بكلماتٍ من الأَصل غيرِ حرفيةٍ. لكلِّ لغة أَبجديتُها وأُسلوبُها ومفاتيحُ فيها لا يجوز إسقاطُها كما

هي إلى لغة أُخرى. هنا فرادةُ الترجمة: أَن يتولَّاها المترجم بنَحْتٍ حِرَفيٍّ صَناع، شرطَ التزامه الحرْفيّ بالنص الأَصلي من دون خيانته.

٣-٣ | بهذه القناعة التي أَنضجَتْها خبرتي كاتبًا ومترجمًا، أَنجزتُ هذه المرحلة الثالثة: أَمامي نصِّي العربيُّ دون جواره الإنكليزي. لَم تَعُد الكلماتُ أَمامي حروفًا، بل مَلامسَ پيانو أَصوغُ بها أَنغامًا أَسمعُها فيما أَتنقَّل من سطر إلى سطر، أُزغردُها بما يَفي جبران معناه ويُرضي مبناي. فكلُّ ما يطلبُه القارئ: إظهارُ المعنى بِـ«ماذا» قال كاتبُ النص الأَصلي، لا بِـ«كيف» كتَبَه في نصه. ونَصاعةُ الترجمة أَن تعطي قارئَ العربية أُسلوبًا نَضرًا لا يعتمد الـ«ماذا» بل «كيف» يقول «ماذا». والأَمانة: إيصالُ الفكرة الأَصلية بأُسلوب المترجِم لا بأُسلوب الكاتب الأَصلي. هنا كان الضنى في كلِّ مراجعةٍ صياغةَ ترجمتي النصَّ (حتى آخرِ مراجعةٍ قبل إرساله إلى الطباعة): أَقرأُه بعينٍ جديدةٍ، وأَظلُّ أَرى فيه ما أُنقِّحُهُ لأَقترب أَكثر، بأُسلوبي، من حرفية النص الأَصلي.

٤-٣ | حتى عند قراءتي مرةً أَخيرةً صياغةَ ترجمتي قبل إرسالها إلى المطبعة، غيَّرتُ فيها أَيضًا وأَيضًا، إذ فاجَأَتْني ثغرات في صياغاتي السابقة، أَنقذَني منها دليلي المدقِّق إلى معنى المعنى، سعيًا إلى نفَثٍ من جماليا وكان هكذا ينكشف لي المعنى أَكثر وأَوضح. في اللغة، وخصوصًا في الترجمة، كلمةٌ صحيحةٌ وأُخرى أَصَح، وكلمة جميلة وأُخرى أَجمل. إنه التدقيق المضْني سعيًا إلى مقاربة الكمال. وأُوقنُ أَنْ لو عدتُ مجدَّدًا وقرأْتُ مرةً بعد، لغيَّرتُ أَيضًا وأَيضًا نحو الأَفضل والأَلمع في التراكيب والأَلفاظ والتعابير. هكذا نقارب اللغة كي نُنَصِّعها بنتَ العصر، ونهيِّئَها لِمَن سيأَتي بعدنا ويمسحُ عن لغتنا اليوم ما يكون تآكَلَ منها بالتكرار، فيصوغُها لعصره بلغته الجديدة.

## ٢ . ترجمتي «رَمل وزَبَد»

هذه الفِلْذاتُ المتفرِّقةُ التدوينِ والأَوقاتِ في هذا الكتاب، كان جبران يعتبرُها من أَصفى نتاجه الأَدبي، وأَقرَبِه حميميةً إِليه، لأَنَّ فيها قناعاتِه الأَعمق، والخلاصةَ الأَصلية الجوهرية المباشِرة لمسيرته الفكرية والثقافية.

من خصائص هذا الكتاب أَنه ليس نصًّا متسلسلَ التأْليف، مُنسابَهُ، كسائر كتب جبران العربية والإِنكليزية، بنصوصٍ متكاملةٍ تَشرح أَفكارَه منْبسطةً على فصول متعاقبة. هذا الكتاب مجموعةُ خواطرَ حكَميَّةٍ وأَفكارٍ انطباعيةٍ دوَّنها من دون ترتيب تأْليفيّ، وفي فترات متقطعة متباعدة. وهي، على ما يظهر من معظمها، صادرةٌ عفويًّا بنتَ لحظتها، تَرَكَها على أَوراقه في مشاعرها الحميمية من دون تَبَرُّج. ولعلَّها أَقرب كتاباته إِلى انفعالاته الحميمة الجوَّانية، كأَنها منهُ مباشرةً إِليه مباشرةً، وليست كما في سائر كتُبه، على أَلْسنة شخصيَّات نصوصه.

إبَّان اشتغالي على ترجمتها، بدا لي أَنَّ جبران كان بسُرعةٍ يدوِّن الفكرة لمضمونها دون تأنّيه في إبداعية التعبير. ربما لأَنه دوَّنَ هذه الخواطر، أَينما اتَّفق، على قصاصات مبعثرة، دون دقَّة اهتمامه بصياغة أُسلوبه إبداعيًّا. وإخالُه، في تدوين تلك الخواطر، لم يكن همَّهُ تجديدُ الأُسلوب بل إيصالُ الفكرة سريعًا بالكلمات الأَقلّ. كانت الفكرة تفاجئُهُ، فيدوِّنها بسرعةٍ كما أَتَتْهُ، وربما لم يكن يَنوي نَشْر تلك الخواطر، حتى لَمْلَمَتْها باربرة يونغ[٤] وهيَّأَتْها للنشْر (كما سيأْتي في الفقرة ٤ من هذه المقدمة).

٤) هي هنرييتَّا بْرِكِنْرِدْج (١٨٧٨–١٩٦٢). اتخذَت «باربرة يونغ» اسمًا أَدبيًّا. كانت شاعرةً معروفة، لها كتُبها الشعرية ومقالاتُها في الصُحف. تولَّت فترةً تحريرَ القسم الأَدبي والشِعري في جريدة «نيويورك تايمز»، ومجلة «العالَم السوري» لسلُّوم مكرزل. حلَّت في حياة جبران بعد ماري هاسكل. وكان حضورُها فاعلًا ومُثْمرًا في حياته وبعد غيابه. ذات أُمسيةٍ بُعَيْدَ صدُور «النبي» (١٩٢٣)، حضرَت في كنيسة سانت مارك الأَنكليكانية (مانهاتن–نيويورك) جلسةَ قراءاتٍ من «النبي» أَدَّاها الممثل الأَميركي باتلر داڤنپورت (١٨٧١–١٩٥٨). أُعجبَتْ بها وكتبَتْ إلى جبران تَطلُب موعدًا لمقابلته. ومنذ زارتْه (١٩٢٥) نشأَتْ بينهما مودَّة أَدبية: كانت تُدَوِّن أَقواله، وتَطبَع على آلتها الكاتبة كلَّ ما يُمليه عليها، وتحفظ أَوراقَه، وتُدير شؤُونَ أَعماله. لازمتْهُ في محترفه حتى آخرِ يومٍ من حياته: صباح الجمعة ١٠ نيسان ١٩٣١، صحبَتْهُ إلى مستشفى سانت فِنْسِنْت، وتوفي ليلتَها عند الساعة ١٠:٥٥ ليلًا.

باشتغالي على ترجمة كتاباتٍ له أُخرى، أَرى أَنه بقيَ غالبًا في السرد الأُفقي، بعيدًا عن تأْنيقها أُسلوبيًّا («يسوع ابن الإنسان» بالإنكليزية، و«الأَجنحة المتكسرة» وسواها بالعربية). صحيحٌ أَنَّ مضمونَ الفكْرة هو الأَساس، لكنها تنجلي أَجملَ حين نُلْبِسُها أُسلوبًا يأْخذ بالقارئ إِلى دهشة المباغتة الجمالية في «تركيب» العبارة. فالأَدب، نثرًا وشعرًا، ليسَ أَيَّ فكرة يقدِّم، بل «كيف» يقدِّمُها أُسلوبًا وتركيبًا. هنا فرادةُ الشاعر أَو الناثر وبَصْمَتُهُ الخاصة وتمايُزُه. وما يقال في النص الموضوع، يقال تمامًا في النص المترجَم. فالترجمة، عدا أَمانة النقْل من اللغة الأَصلية، غالبًا ما تُحبِّبُ في لغتِها لغةَ النص الأَصلي. هكذا تُملي عليَّ تجربتي أَن أُصحِّحَ وأُنقِّحَ وأُنصِّعَ نصِّيَ الموضوعَ أَو المترجَم، بإِعادة بعض الصياغات في تركيب عباراته قبل دفْعه إِلى النشر. ولذا أُرجِّحُ أَنَّ جبران، في جُلِّ كتاباته، لم يتشدَّد في هذه الدُرْبة. ولعلَّ ما لاقاه في الأَوساط الأَميركية من رواجٍ واسع، مستحِقٍّ أَكيدًا، كان في أَفكاره أَكثر مما في أُسلوبه اللغوي والكتابي. بهذا الجديد في فكْره، شعَّ نجاحًا رائعًا على عشرات الترجمات إِلى اللغات العالَمية.

## ٣. في نسيج الكتاب

علامةُ الخواطر في هذا الكتاب، أَنها مكتوبةٌ أَصلًا بإيجاز. ولأَن في الإيجاز محوَ غبارٍ يتمطَّى متراكمًا على اللغة مفرداتٍ عتيقةً مكرَّرةً مستهلَكَة، جاءَ إيجازي في ترجمتها يلاقي مبدأَ «الأَقلّ هو الأَكثر»، إلَّا في عبارات معيَّنة فرَضَت ترجمتُها غيرَ ذلك. مثلًا: في الخاطرة ٢٨٣ «رغِبَ والدايَ في ولَدٍ فَأَنجباني. ورغبتُ في والِدَيْن فأَنجبْتُ عَتَمَة الليل ووسْعَ البحر»، أَضفْت كلمتَي «عَتَمَة» و«وِسْع» كي أُوجد الأُنثى والذَكَر لـ«الإنجاب». وحوَّلْتُ الجمع إلى مفرد لإيصال المعنى كما في الخاطرة ٢٧٢ «إن أَفشَيتَ للريح سرَّك، لا تلُمْها إن أَفْشَتْهُ للأَشجار» (استخدمتُ «سرَّك» تجنُّبًا ضياعَ المعنى بين «الأَسرار» و«الأَشجار»).

إبَّان مسيرتي في ترجمة هذا الكتاب (كما في ترجمتي قبلَها كتابَ «النبي»)، صادفتُ أُمورًا لدى جبران تأَنَّيتُ في التعامل معها إخلاصًا للأَصل. منها أَنَّ فكره عميقٌ، فيما تعبيرُه مباشِرٌ لا يعادل عُمْقه. ومنها تكرارُه كلمةً في الجملة الواحدة على قِصَرها، وتكرارُه كلماتٍ مفتاحيةً

تتردَّد لديه في أَكثر من خاطرة. تبريرُ ذلك قد نجدُهُ عند اعتبارِنا زمنَ كتابته قبل مئة سنة. ولعلَّ جبران، لو كان له أَن يكتُبَهُ اليوم، لَسَكَبَه بأُسلوبٍ رشيقٍ يتماشى وإيقاع هذا العصر ووسائله التكنولوجية ووسائط إلكترونية حديثة تجد في ترجمتي صدًى ملائمًا إيقاعَها العصري في عباراتي الوجيزة. إنكليزيةُ شكسبير اليوم لا تَنقلُ لغةَ عصره بل لغةَ عصرنا. لذا لا تجوزُ ترجمةُ جبران بمفردات ١٩٢٦. والأَرشمندريت أَنطونيوس بشير٥، في ترجمته «رَمل وزَبد»، سكبَها في لغة عصره قبل ١٠٠ سنة، بتعابير «تبشيرية» كان استخدم مثلَها في ترجمته «النبي». وهو أَحيانًا لم «يُترجم» الخاطرة بل «فسَّرَها» وشرَحَها بتعابيرَ له غيرِ موجودةٍ في الأَصل الإنكليزي. هذا، وإن بدا في عصره مفيدًا قارئَه العربي، لا يتماشى مع الرشاقة في خواطر جبران الموجَزة.

٥) الترجمة العربية التي وضعها للكتاب الأَرشمندريت أَنطونيوس بشير (١٨٩٨–١٩٦٦) وصدَرت في القاهرة سنة ١٩٢٧، حملَت مقدِّمة موجَزَة وضعها جبران بالعربية خصيصًا لهذه الطبعة، أَرَّخها في كانون الأَوَّل ١٩٢٦. والأَرشمندريت بشير (لاحقًا، منذ ١٩٣٥حتى وفاته، متروبوليت أَميركا الشمالية) نَقَل إلى العربية معظم مؤَلَّفات جبران الإنكليزية.

اللغةُ الحية، كأَيِّ كائنٍ حيٍّ، تتطوَّرُ من جيلٍ إلى جيل. تَسقُط منها كلماتٌ وتعابيرُ وتراكيبُ لم تَعُد مستعمَلة، أَو تبقى مستعملةً ببَّغائيًّا دون أَيِّ جهدٍ أَو رغبةٍ في التجديد. هنا الحاجة إلى الترجمة بِلُغَة عصرها لا بِلُغَةِ العصر التي وُلِدَ فيه النص الأَصلي. بهذا المعيار تعمَّدتُ في ترجمتي «صياغةَ» خواطر «رَمل وزَبد» بمفرداتٍ من لُغَة اليوم. وحتى هذه، في عصرٍ مقْبل، ستُصبح عتيقةً خارجَ الاستعمال، وتَستوجبُ إعادة الترجمة بِمفرداتٍ من لُغة العصر المقبل. لذا، حين قرأْتُ مرةً أَخيرةً صياغةَ ترجمتي هذا الكتابَ قبل مثوله للطبع، عُدتُ نقَّحتُ فيها مفرداتٍ وجدْتُها من المأْلوف المكرَّر، أَي من لغة عتيقة.

إنها المغايرةُ في السبْك، من دون الانزياح إلى ما يؤْذي الأَصلَ الأَجنبي أَو قواعدَ العربية. والمغايرة أَحيانًا تَعتمد اللامأْلوف، فتُحْدِث لدى القارئ مباغتةً قد يخالُها خطأً في التركيب، لكنها لغويًّا من ضمْن القواعد والأُصول.

إنكليزيةُ جبران في «رَمل وزَبد» (كما في جُلّ مؤَلَّفاته، وخصوصًا في «النبي»)، تشكَّلتْ، لغةً، من رافدَين رئيسَيْن: إنكليزية شكسبير وإنكليزية «الكتاب المقدس» الصادرة

على عهد الملك جيمس[٦]. وكلتاهما تلقَّاها جبران أَيام بدأَ، وهو في الثانية عشْرة، يدرس الإنكليزية في «مدرسة كوينسي» (٣٠ أَيلول ١٨٩٥–٢٢ أَيلول ١٨٩٨) قربَ بيته في ذاك الحي الصيني الفقير من بوسطن. من هنا ما في إنكليزيته من عباراتٍ وتراكيبَ كلاسيكيةٍ قديمة (لم تعُد مستعمَلَة في الإنكليزية المعاصرة)، تضاف إلى اختزانه عباراتٍ وتراكيبَ عربيةً كان يترجمها وهو ينْسُج كتُبه، ما أَعطى نصَّه مذاقًا خاصًّا لقارئ الإنكليزية.

## ٤. قصة الكتاب

### أ. روايتان وامرأَتان

في مسيرة جبران امرأَتان لازمتَاه أَدبيًّا، هما الأَقربُ إلى حياته: ماري هاسْكِل (من ١٩٠٤ حتى وفاته) وباربرة يونغ (من ١٩٢٥ حتى وفاته). الأُولى كانت لها مع جبران، من

٦) هي الترجمةُ الْكان الملك جيمس (١٥٦٦–١٦٢٥) أَوصى بها سنة ١٦٠٤، وصدرَت سنة ١٦١١، وبقيَت صياغاتها اللغوية معتمَدةً لزمن طويل.

بوسطن ثم من ساڤانا (جورجيا)، مراسلةٌ طويلةٌ (٢٧ سنة) بلغَتْ شواطئَ الأَقاليم العاطفية، ولها عنه تدويناتٌ في دفتر يومياتها الخاص عن حياتهما معًا. والأُخرى لازمَتْه في محترفه النيويوركيّ وعرَفَتْه جدًّا عن قُرب، إنسانًا ومؤَلِّفًا، ووضعَت عنه كتابها «هذا الرجل من لبنان» (نيويورك ١٩٤٥) وفيه تفاصيلُ حياتيةٌ وأَدبيةٌ تُنير الكثير مما يُفيد الباحثين والمتابعين.

هكذا حظيَ كتاب «رَمل وزَبد» بروايَتَين مختلفتَين عن ظروف تأْليفه، ليس بينهما رابطٌ مشتركٌ إِلَّا في ما ندر. وعوضَ أَن أُناقش صحَّةَ الروايتَين، وما في بعض فصولهما من تناقُض، سأُوردُهما من دون تعليقٍ، كما وردَتا من مصدَرَيهما: دفاتر يوميات ماري هاسْكِل، وكتاب باربرة يونغ.

## أ. ١ | رواية ماري هاسكل

في «يومية» ١٧ نيسان ١٩٢٠، كتبَتْ ماري عن عادة جبران أَن يُدَوِّنَ على قصاصاتِ أَوراقٍ أَفكارًا تخطُر له. وتروي عنه قولَهُ لها ذات يوم: «حيثما أَكونُ، أَحملُ قلمًا وورقة، ولا

أَرمي أَيَّ خاطرةٍ أَكتُبها. تجمَّعَ لديَّ عددٌ كبير من أَقوال وخواطر، أَركُنُها كلَّها في مكان واحد وأَحفظُها لكِ. وذاتَ يوم أُصدِرُها في كتابٍ أُهديه إليكِ».

وفي «يومية» ٣١ آب ١٩٢٠، كتبَت: «نسَخْنا عددًا كبيرًا من تلك الأَقوال الْكان جبران دَوَّنها بالإنكليزية في دفتره، وترجمَ لي أَقوالًا أُخرى بالعربية كان دوَّنها على قُصاصات ورق».

هل كان يُضمر فعلًا أَن يُصدِرَها في كتاب؟ عن ماري أَنه – على مثال وليم بلايك وفردريك نيتشه وموريس ماترلِنك بجمْع خواطرِهم المدوَّنةِ متفرقةً وإصدارِها في كتاب – اقتنَع بفكرتها أَن يجمعَ تلك الخواطر في كتابٍ اقترحَت يومها عنوانَه «درب الأَيام السبعة»، لأَنَّ فيها، كما دوَّنَت، «تَكَوُّنَ شخصيتِه، وتطوُّرَها يومًا بعد يومٍ، من أَناهُ الصغرى إلى أَناهُ العُظمى».

اقتراحُ ماري هذا العنوانَ، جاءَ ذات جلسةٍ (١٩٢٣) كانا خلالها يراجعان الفصول الأَخيرة من كتاب «النبي» قبل إرساله إلى الناشر. يومها وُلدت فكرةُ تنسيقِ نحو ٥٠٠ من

تلك الأَقوال المتفرِّقة، وجمْعِها في كتاب مستقلّ، لأَنها قصيرة لم تكن تَصلح لضمِّها إِلى كتابه الأَول بالإِنكليزية: «المجنون» (١٩١٨).

قسمٌ كبيرٌ من تلك الأَقوال كان جبران دوَّنَه بالعربية، ويترجمُها لماري شفَهيًا فتدوِّنها. وعن اقتراحها عنوانَ «درب الأَيام السبعة»، كتبَتْ في دفتر يومياتها قولَه لها: «ذاتَ يومٍ، على باب الهيكل، رأَيتُ كلبًا يعَضُّ أَسَدًا ميتًا، فزال عني شُعوران: خوفي من الأَموات واحترامي الأَحياء». وأَكمل لها: «كتبْتُ هذه الخاطرةَ قبل نحو ستِّ سنوات، ولم أَكُن يومها ناضجًا كما أَنا اليوم». وتابَع: «لديَّ فكرةٌ واضحة عن هذه الخواطر: صحيح أَنها باتت اليوم بعيدةً عني في الزمن ولم تعُد تمثِّلني، لكنني، إِذا أَهملْتُ كلَّ ما لم يَعُد يمثِّلني فيما أَنضَجُ مع السنوات، أَكونُ أَهملْتُ كتاباتٍ كثيرةً، حين دوَّنْتُها كنتُ مقْتنعًا بها. لذا فكَّرتُ بصيغةٍ تحتضنُها جميعَها بحالة الوعي التي ولدَتْ فيها». وأَكمل: «أَتَخيَّلُني حجَجْتُ إِلى المدينة المقدَّسة، وصادفتُ في مسيرتي رجلًا غريبًا، رحتُ أُحادثهُ طوال النهار، وهو

حزينٌ يبادرني بكلامٍ نابعٍ من مرارته. في اليوم التالي، وكنا اقتربْنا من المدينة المقدسة، الْتَقيتُهُ فوجدْتُهُ تَغيَّرَ وبات أَقلَّ مرارةً. في الأَيام التالية، الرابع والخامس والسادس، تغيَّر بعدُ أَكثر. في اليوم السابع، وكنَّا وصلْنا إِلى المدينة المقدَّسة، نطَق بكلام واضح وأَثيريّ. وإِذ دَنَونا من الكعبة، اختفى من أَمامي. وعند المساء، رأَيتُه ميتًا عند جدار الهيكل».

## أ. ٢ | رواية باربرة يونغ

في كتاب باربرة يونغ، أَنَّ جبران لم يكُن في باله جمْعُ تلك الخواطر في كتاب. كان يعتبرها أَفكارًا مبَعثرة متفرِّقة، ربما تصلُح لتوسيعها يومًا في كتاب. إِنما تلزمُها غربلة، لأَن فيها «الكثير من الرَمل والزَبد»، كما ذكرَت قولَه لها ودوَّنتْهُ في كتابها عنه «هذا الرجل من لبنان» (١٩٤٥). وفي روايتها أَنها هي التي جمعَت تلك التدوينات المتفرِّقة، ورتَّبَتْها ونقَلَتْها إِلى آلتها الكاتبة (الدكتيلو)، وهيَّأْتْها للنشْر، كما ورد في كتابها (الفصل التاسع: «لا عمرَ للكلمات». وهذا العنوانُ أَخَذَتْهُ من مطلع الخاطرة ٧٤ في الكتاب). وهنا جُزءٌ حرفيٌّ من ذاك الفصل التاسع كما سرَدَتْهُ في كتابها:

«ذاتَ أَحَدٍ من خريف ١٩٢٥، قصدتُ المحترف عصرًا، لساعةٍ أَو اثنتَين، بدعوةٍ من جبران الذي، طَوال صداقتنا معًا، لم يعتبِر مرَّةً واحدةً أَنَّ قبولي دعوتَه تلقائيٌّ. كان عادةً يُهاتفني: «إِنْ لديكِ حفنةُ وقتٍ، أَتُمْضين بعضًا منها مع رجلٍ كئِيب»؟ وفعلًا، كنتُ أَجدُه غالبًا على كآبة.

زيارةً بعد زيارة، تنامَت لديَّ فكرةُ أَن أَكتُبَ يومًا عن هذا الرجل الذي، حَتَّئِذٍ، لم يكن صدَرَ عنه بالإِنكليزية إِلَّا بضعُ مقابلات صحافية، وآراء له منشورة في الصحُف، مع نبذةٍ موجَزةٍ عنه أَو اثنتَين. بُحتُ له بالفكرة فسرَّه عزْميَ هذا، سرورَ طفلٍ بِخَبرٍ مُفرح. ومن يومها راح غالبًا يُخبرني عن طفولته، عن أُمِّه، عن أُمورٍ يتمنَّى أَنْ يتذكَّرها «لو هي تَذَكَّرَتْني». وكان أَحيانًا يستهلُّ كلامه بعبارة: «إِذا متُّ الليلةَ، تذكَّري ما يلي...». تلك «التذكُّرات» هي التي جمعتُها في كتابي عنه «هذا الرجل من لبنان».

مُذَّاك، وإِبَّان ساعاتٍ من أَحاديثنا في المحترف، رحتُ أُدوِّنُ عباراتٍ كان أَحيانًا يقولُها لي عفويًّا، وعباراتٍ أُخْرى وجَدْتُها بخطِّه منْتَثِرَةً، هنا على قُصاصة، هناكَ على وُريقةٍ، كتبَها وتركَها في أَيِّ مكانٍ.

عرضتُ عليه فكرةَ جمْع تلك الكتابات المتناثرة، فهَزِئَ في البدء وقال: «فيها الكثيرُ من الرَمل والزبَد». وحين التقطْتُ عبارتَه هذه، وأَن يكونَ «الرَمل والزَبَد» عنوانَ الكتاب، لفَتَهُ الأَمر فأَخذ يَهتمُّ له. وراح من يومها يُعطيني، ببعض خجلٍ، بطاقةَ دعوةٍ إلى أُمسيةٍ مسرحيةٍ أَو موسيقية، قُصاصةً ورقيةً، قطعةً كرتونيةً من علبة سكائر، غلافًا مطويًّا، وعلى كلٍّ منها أَسطُرٌ بِخطِّه، ويقول لي: «إنك تَجمَعين خطراتٍ مجنونةً من الرَمل والزبَد». لكنه، تباعًا، راح يَستمتعُ فيَنسُجُ بتأَنٍّ عباراتٍ، بعضُها من أَجمل ما قال أَو كتَب، هي التي شكَّلت لاحقًا «كتاب الرَمل والزبَد».

قال لي يومًا: «رجاءً، أُكتبي هذه العبارة: «كلُّ فكرةٍ حبسْتُها في عبارةٍ، عليَّ أَن أُحرِّرها بأَفعالي». وتَذَكَّري أَن تَجعليها آخرَ عبارةٍ في الكتاب. واحترامًا رغبتَه، أَدرجْتُها فعلًا آخرَ عبارةٍ في هذا الكتاب. أَمَّا أَوَّل عبارةٍ أَدرجْتُها فهي: «أَمشي... أَمشي عند هذي الشواطي، ما بين رَملٍ وزَبَد. سيَغْمُر المدُّ آثارَ قدَمَيَّ، وتُبَعثِرُ الزبدَ الريحُ. لكنَّ البحر باقٍ أَبدًا، ومثْلُه الشاطئ».

بعد فترةٍ، وكنتُ جمعتُ عددًا كبيرًا من تلك الأَقوال والخواطر، طبَعتُها على آلَتي الكاتبة وأَخذْتُها إلى المحترف. تناولَها جبران، وجلَس نحو نصفِ ساعةٍ صامتًا يُقلِّب الأَوراق المطبوعة. لا هو تكلَّم ولا أَنا. بعدَها رفَع رأَسه عن الأَوراق، وقال بابتهاجٍ على وجهه:

– أَأَنا أَلَّفْتُ هذه جميعَها؟ أَم لكِ فيها حصة؟

– أَنا؟ أَبدًا. لا كلمةَ واحدةً لي فيها. وأَنتَ تعرف ذلك. كلُّ سطرٍ في هذه الأَوراق هو من جبران، ولا يمكن أَن يَكتبَه إِلّا جبران.

وذهب الكتابُ إلى الناشر[٧]، وصدَر في نيويورك سنة ١٩٢٦ بعنوان «رَملٌ وزبَد»، وبعنوانٍ ثانوي «كتابُ حِكَم».

٧) هو الكتاب الوحيد الذي صدَر لجبران ولَم تقْرأْه مخطوطًا ماري هاسْكِل وتُنَقِّحْه كعادتها في سائر كتُب جبران بالإنكليزية. ذلك أَن أَلْفرد كْنُوف (ناشر جميع كتُب جبران الإنكليزية) استعجلَ الحصول على المخطوطة، فأَرسلَها إليه جبران، وفيها عباراتٌ كثيرةٌ كان دوَّنَها قبْلًا ليَضُمَّها إلى أَقوال «المصطفى» في «النبي»، فعاد وضمَّها إلى عبارات «الرَمل والزبَد».

بعد أَسابيع، عند استلامِه النسخةَ المطبوعة سأَلَني:

– أَضروريٌّ أَن نسمِّيها «حِكَمًا»؟ لِمَ لا نستعمل الكلمة الأَجمل والأَبسط: «أَقوال».

وإِذْ كان رأْيُ الناشر عدمَ استعمال الكلمة المباشرة («أَقوال») وفضَّلَ كلمة «حِكَم»، ظلَّ جبران يُسمِّيه «كتيِّب الأَقوال».

في رأْيي، ورأْيِ مماثلٍ سمعْتُهُ من كثيرين، ليس في الإِنكليزية كتابٌ بهذا الطابع. لا ثلاثةَ أَبعادٍ له فقط: العلُّو، العُمق، الرحابة، بل له بُعدٌ رابع: الخلُود، وهو مرادفٌ الزمنَ اللامحدودَ اللانهائِيّ. إِنَّ فيه خواطرَ قصيرةً تُعبِّر عن حكمةِ أَجيالٍ – وأَقصِد بهذه العبارة جوهرَ معناها الأَصليّ لا شعارًا لأَيِّ عقيدة – وهي حقيقةٌ ساطعةٌ لا يخلو منها إِيمانٌ ولا مذهب.

لدى صدور الكتاب، سأَلَني سيِّد حُسين كتابةَ مقالٍ عنه في مجلته «الشرق الجديد»، فكتبتُ ما يلي:

«لا عُمرَ للكلمات. فلْتَلْفُظْها أَو تكتُبْها مُدركًا خلُودَها». هذا السطر، إن كان سطرٌ كافيًا، قد يحدِّدُ بُعْدَ وعيِ هذا الشاعرِ اللبنانيِّ ملَكَةَ الكلام وقُدرتَه البشرية.

على غلافِ الكتاب أَنَّ «المؤَلِّفَ فيلسوفٌ يُراقب من نافذته مَشاهدَ تمرُّ به». عبارةٌ لطيفةٌ لكنها معكوسةٌ، لأَن المؤَلِّف كتَب: «أَودُّ أَن أَسيرَ مع السائرين لا أَن أَتوقَّفَ مُراقبًا مَن يَمُرُّون بي».

هذه الأَقوالُ الوجيزة والحِكَمُ الظَرفية، خَطَّتْها يدُ مَن لَمَسَ بها نبضَ الحياة، وتناوَل خُبزَها وشربَ كأْسها، لا مَن اقتصَر فقط على المراقبة والتعليق.

جبران، سيِّدُ العربية، في كتابه الإنكليزي الرابع هذا[٨]، أَعطى قرَّاءَ الإنكليزية ما لا يُشبِهُه في لغتهم أَيُّ كتابِ «أَقوال». ففيه مُجَدَّدًا ما في «النبي»: ثوبٌ خاطَه لنا مما رآه «بين

٨) وهي تقصِد: «المجنون» (١٩١٨)، «السابق» (١٩٢٠)، «النبي» (١٩٢٣).

الولادة والموت»، إنما هنا بنسيج مغاير. تَناولَ الحِكَمَ القديمة عن الحقائق، وصاغَها بأَبسط التعبير أَنْ «لن يَفهمَ أَحدُنا الآخرَ إِلَّا حين تتقلَّص اللغة إِلى كلماتٍ سبْعٍ». ويمكنُ فَهْمُ ذلك من تأَمُّل رسوم الكتاب السبعة، فريشةُ جبران صولَجانُه الآخَر.

من عبارات الكتاب: «الرجلُ اثنان: أَوَّلُ صاحٍ في العتَمَة، والآخَرُ غافٍ في النور». وهي ومضةٌ نَحتيةٌ رشيقةٌ تتجلَّى في صفحات هذا الكتاب الذي قراءَتُهُ تُولِّدُ شعورَ مَن يسير في رواقٍ عالي السقف، عريضِ المَعبَر، على جدرانِه صوَرُ الحقيقةِ منقوشةٌ في الرُخام... إنه كتاب يَخترق الوعي حتى أَعمَقِهِ، كما اخترَقَه قبلَه كتابُ «النبي»...».

### ب. خليل وجين جبران

إِذا كان من لُبْس أَو تعارُضٍ متناقضٍ في ما جاء لدى المرأَتين ماري هاسْكِل وباربرة يونغ، فالقول الفصْل يَصدر عن أَقرب الناس نسَبًا عائليًّا إِلى جبران سيرةً ومسيرةً: النحَّات البوسطني خليل جورج جبران وزوجتُه جين في كتابهما الأَكثر توثيقًا عن جبران: «خليل

جبران: حياتُه وعالَمُه» (نيويورك ١٩٧٤). وبعد وفاة خليل (٢٠٠٨) استكملَتْ زوجتُه جين معلوماتٍ ووثائقَ جديدةً، وأَصدرَتْها في طبعةٍ للكتابِ جديدةٍ ومَزيدةٍ بعنوان «خليل جبران أَبعد من الحدود» (نورثْامپتون، ماساشوستس ٢٠١٧).

من هذا المرجع/الثقة، أَقتطف الآتي المتعلقَ بظروف كتاب «رَمل وزَبد».

«بين أَواخر تدوينات ماري هاسْكِل عن جبران في دفاتر يومياتها (كانت أَخيرتُها يوميَّة الأَربعاء ١٨ حزيران ١٩٢٤)، كتبَتْ عن لقائهما في محترفه بعد ظهر الأَربعاء ٢١ أَيار ١٩٢٤، أَنه قرأَ لها بعض الخواطر القصيرة من كتابٍ له جديدٍ يُعدُّه للنشر، لن يضمَّ فيه قصة «درب الأَيام السبعة». وأَضافت ماري: «كان لقاؤُنا ساحرًا. قرأَ لي مقطوعةً صغيرةً جميلةً سيجعلُها فاتحةَ الكتاب الجديد، وفيها أَنَّ شاطئَ البحر الأَعظم هو من الرَمل، وأَنَّ خواطره ليست سوى بضعِ حبَّاتٍ من ذاك الرَمل، وحفنةِ فُقاعات من ذاك الزبَد».

وفي مكانٍ آخر من كتابهما، سَرَدَا مغامرتَه العقارية التجارية الفاشلة (أَيار-حزيران ١٩٢٤) مع صديقه اللبناني فارس معلوف، وخسارتَه المالية القاسية (١٢ أَلف دولار)، وسقوطَه في انهيارٍ نفسيٍّ عميق. وبعدما كان يقتطفُ من نصوصه الإنكليزية بعضًا يترجمه إلى العربية (لينشُرَها في «السائح» و«الفنون»)، تلقَّى عرضًا من الأَرشمندريت أَنطونيوس بَشير لترجمة كتُبه الإنكليزية إلى العربية، فوافَق. وبدأَ بَشير يضع تلك الترجمات ويُصدرها في القاهرة (أُولاها ترجمةُ «المجنون» سنة ١٩٢٤، وكان صدَرَ بالإنكليزية في نيويورك سنة ١٩١٨).

بعد ارتياحه إلى ذاك الاتفاق مع الأَرشمندريت، انصرفَ إلى الكتابة بالإنكليزية، ينقل إليها ما كان دوَّنَه من خواطر بالعربية. ويركِّز المؤَلفان أَنْ في تلك الفترة بالذات (١٩٢٥) دخلَت إلى حياته باربرة يونغ، سكرتيرةً تساعدُه في شؤُون التنظيم والتنسيق والجمْع والنَسْخ والطباعة على آلتها الكاتبة. ويصفُها المؤَلِّفان بأَنها «الأَقلُّ جاذبيةً بين جميع مَن عرَفَ جبران من النساء. فهي طويلة، قاسية الملامح، مروَّسة الوجه، فيها قليل من أُنوثة جوزفين بيبَدي، ومن سحْر شارلوت تِلِر، ومن ذكاء ماري هاسْكِل».

ويُوَثِّقُ المؤَلِّفان أَنَّ ماري زارت جبران في محترفه نهار الإثنين ١٠ أَيار ١٩٢٦. وكانت قبْلَ ثلاثة أَيام (٧ أَيار ١٩٢٦) تزوَّجَت في ساڤانا (جورجيا) من فلورنْس مايْنِس، وجاءَت معه إلى نيويورك ليُبْحرا منها إلى أُوروپَّا. وإذ انصرف زوجُها إلى إنجازِ جوازَي السفَر فالغداءِ مع صديقٍ له في المدينة، انسلَّت هي إلى محترف جبران، في جلسةٍ عاجلةٍ قرأَ لها خلالها، كئيبًا ودامعًا شديدَ التأَثُّر، بعضَ الخواطر من «رَمل وزَبَد»، قائلًا إنه جمَع منها نحو ٣٠٠ خاطرة، وإنَّ لديه منها نحو ١٠٠٠، معظمُها بالعربية.

ويضيفُ المؤَلِّفان أَنْ فيما غادرَت ماري وزوجُها إلى أُوروپَّا، غادرَ جبران نيويورك إلى بوسطن عند شقيقته مريانا، حاملًا معه مخطوطةَ «رَمل وزَبَد» يُنجزُ اللمساتِ الأَخيرةَ عليها. ويدقِّق المؤَلِّفان بأَنه كان يهتمُّ بالتفاصيل الطباعية، غانمًا من خبرته في صباهُ، بتشجيعٍ من فْرِدْ هولند داي، إِذْ كان يرسم أَغلفةً ورسومًا داخليةً لكتُبٍ صدرَتْ لدى منشورات «كوپْلِنْد وداي». من تلك الخبرة الطباعية تدخَّل في إخراج كتابه «رَمل وزَبَد». وفي رسالته إلى

الناشر أَلفرد كْنُوف، جاء: «أُريد لهذا الكتاب أَن يَصدرَ مطبوعًا كما هو مرتَّبٌ تمامًا في الأَصل على الآلة الكاتبة، من حيثُ عدَدُ الخواطر في كل صفحة، ومجموعُ الصفحات». وبهذا التدقيق كذلك كتب رسالته التوضيحية المفصَّلة (٢٢ أَيار ١٩٢٦) إِلى مدير دار النشر «مسْتر سميثْ». وفعلًا صدَر الكتاب في خريف ١٩٢٦ مثلما خطَّط له جبران شكلًا ومضمونًا.

في تلك الحقبة، بدأَ بكتابة «حديقة النبي»، جُزءًا ثانيًا من ثلاثيةٍ كان يُضْمرُ أَن يُصدرَها: «النبي» (صدر سنة ١٩٢٣)، «حديقة النبي» (صدَر سنة ١٩٣٣، بتنسيق باربرة يونغ بعد وفاته بسنتَين)، و«موت النبي» (لم يصدر لأَنه لم يضع منه سوى بضعةِ أَسطُر لا تشكِّلُ هيكلًا للكتاب).

سوى أَنه، في لحظة إِشراق، ترك كتابةَ «حديقة النبي»، وبدأَ يُملي على باربرة يونغ فصولَ الكتاب الذي ظلَّ طويلًا يحلُم بكتابته: «يسوع ابن الإِنسان» الذي صدَر سنة

١٩٢٨، ولاقى إقبالًا صحافيًّا واسعًا، بعكس «رَمل وزَبد» الذي لم يُلاقِ صدًى صحافيًّا إيجابيًّا. ومن قليل ما صدَر: مقالٌ سَلبيٌّ في جريدة «نيويورك هيرالد تريبيون» نَعَتَ «رَمل وزَبد» بأَنه «كُتَيِّبٌ عقيمٌ ونحيل».

### ج. أَلكسندر نجار

بين قلَّةٍ وُثْقى في البحث العلْمي المدقِّق الموثَّق عن جبران: المحامي والكاتب أَلكسندر نجار. وضَع عنه بالفرنسية والعربية مؤَلفاتٍ هي اليوم في رأْس المراجع الجبرانية الرصينة. من هذه، كتابُه «أَوراق جبرانية» (دار «النهار» ٢٠٠٦)، وفيه وثائقُ أَصليةٌ أَقتطف منها هنا ما يتعلَّق بـ«رَمل وزَبد».

في مراسلةٍ بين جبران وناشر كتُبه الإنكليزية الوحيد أَلفرد كنوف (١٨٩٢–١٩٨٤)، اطَّلع عليها أَلكسندر نجار في جامعة تكساس، رسالةٌ من جبران إلى كْنُوف (الثلثاء ٢٣ آذار ١٩٢٦) جاء فيها: «يَسُرُّني أَن أُرسلَ إِليكَ قريبًا نسختَين من مخطوطة «رَمل وزَبد» فورَ

أَنتهي من تجهيزها كاملةً. راسَلَني المستر سميثْ بأَنه يُريدها مع رسومها في النصف الأَول من أَيار».

وفي رسالةٍ حول «رَمل وزَبد» إلى مستر سميث (السبت ٢٢ أَيار ١٩٢٦) جاء: «أُرفِقُ لكَ ستةَ رسومٍ وضعتُها خصيصًا للكتاب، وزخرفاتٍ منمنمةً يمكنكَ تصغيرُها إلى قياسٍ يجعلُكَ تَنشُر ثلاثًا منها أَو أَربعًا فقط في الصفحة الواحدة، كي تكون الصفحةُ مُنسَّقةً غيرَ كثيفةِ الزخرفة. وأَستسمحكَ التذكير بأَنني أَرغب في صدور الخواطر مطبوعةً في الكتاب، تمامًا كما عدُدها في الصفحة الواحدة من المخطوطة، وعلى عدد أَوراق المخطوطة. وحين يَسْنَح لكَ الوقت، أَتمنى التداوُلَ معك في أَمر غلاف الكتاب».

ومن بوسطن (الجمعة ٢ تموز ١٩٢٦) يكتُب إلى سميث مجدَّدًا: «أُعيدُ إليكَ صفحات الكتاب لأَني وجدتُ فيها أَخطاء فاضحة في ترتيب الزخرفات. صحَّحتُها، وسررتُ بإمكان استدراكها قبل الطباعة. والتصحيحُ هو التالي: أَن تبدأَ الصفحة بواحدة من الزخرفات الكبيرة، وتندرجَ المنمنمات الصغيرة في الصفحة، فاصلةً بين الخاطرة والأُخرى. وبذلك

لا تكون الصفحاتُ كثيفةً بل مريحةَ التصميم كما عادةً يعتمدُها الناشرون الإيطاليون والفرنسيون والبريطانيون».

وأَرفَق جبران ملحقًا برسالته هذه كلمةً موجزةً إلى مدير المطبعة: «أَرجو الانتباهَ إلى أَنْ تبدأَ كلُّ صفحةٍ من الكتاب بزخرفةٍ كبيرة في أَعلاها، وتتسلسلَ المنمنمات الصغيرة في الصفحة بين كل خاطرةٍ وأُخرى».

وفي رسالة أُخرى إلى سميث (الثلاثاء ٢٤ آب ١٩٢٦) كتَب جبران: «استلَمْتُ اليوم رسومَ كتاب «رَمل وزَبد» من مطبعة بْلِنْفستون، لاختيار الرسْم الذي أُريدُ أَن أَستهلَّ به الكتاب. اخترتُه، وأَعدْتُ الرسوم إلى المطبعة، على أَن أَختارَ لاحقًا توزيعَ سائر الرسوم على صفحات الكتاب الداخلية».

وفي رسالة الثلاثاء ٥ تشرين الأَول ١٩٢٦، كتَب الناشر كْنُوف إلى جبران يهَنِّئُه بصدور الكتاب، وأَرسلَ له نُسَخًا منه متمنيًا له «الرواجَ الذي يستاهلُه».

## ٥. . . . وصدَر الكتاب

في خريف ١٩٢٦ صدر الكتاب لدى «منشورات أَلفرد كْنُوف»، فيه ٣٢٢ خاطرة، وسبعُ لوحاتٍ مائيةٍ ومنمنماتٌ لوضْعها بين سطور تلك الأَقوال، تمامًا كما أَوعز جبران إلى ناشره كْنُوف، حريصًا أَنْ يُقرأَ كتابُه لا خواطرَ في أَيما حقيقة، بل شذراتٍ من فكرٍ يتطوَّر فيتجلَّى تَنوُّعُه وغناهُ من كتابٍ إلى آخَر. و«خواطر» الكتاب تدعو فعلًا إلى الغوص على الذات لاكتشافها أَوضح، وإلى التواضع وحُب الآخَر، وإلى الوعي على مكانةِ الإنسان في هذا الكون، وعلاقةِ الزائل بالأَزليِّ غير الزائل، ما يساعد الإنسان على العيش مع الآخَر بلوغًا إلى الحرية الكاملة.

بين مؤَلفات جبران الإنكليزية: السابقة («المجنون» ١٩١٨، و«السابق» ١٩٢٠، و«النبي» ١٩٢٣) واللاحقة («يسوع ابن الإنسان» ١٩٢٨، و«آلهة الأَرض» ١٩٣١، «و«التائه» ١٩٣٢، صدر بعد وفاته) جاءَ «رَمل وزَبد» (١٩٢٦) حلقةً وُسطى بين ما قبلَه وما بعدَه: يَجمع بين

السُخرية والهزء (كما في «المجنون»)، بين النظرة الباحثة عن الواقع (كما في «السابق») والنظرة الحكيمة (كما في «النبي»)، بلوغًا إلى الصفاء والراحة (كما في «التائه»).

«خواطر» الكتاب الـ٣٢٢، تشكِّل ٦٥٪ تقريبًا من نحو ٥٠٠ خاطرة كان دوَّنها جبران حيثما اتَّفق. القسم الباقي (٣٥٪) ضاع معظمُه، وصدَر قسمٌ منه في كتاب ڤرجينيا حلو «النبي الحبيب-رسائل الحب بين جبران وماري هاسكل، ودفاتر يومياتها» (نيويورك ١٩٧٢)، وقسْمٌ ثانٍ في كتاب خليل جبران وزوجته جين «خليل جبران – أَبعد من الحدود» ( طبعة ٢٠١٦). ثم صدَر قسْمٌ ثالث سنة ١٩٩١ في كتاب وليم شحادة «خليل جبران-مراحل وضْع كتاب «النبي» (منشورات «الجامعة الأَميركية» – بيروت)، وقسْمٌ رابع في كتاب دالتون حلو إِرْهورن (وهو ابن ڤرجينيا حلو) «... وقال النبي» (٢٠٢٠) وفيه مخطوطاتٌ مكتَشَفَةٌ حديثًا، بينها «خواطر جديدة» لم تصدُر في طبعة ١٩٢٦ من «رَمل وزَبد» على أَيام جبران وبإِشرافه.

بهذا يكون مجموع ما اكتُشِف بعد صدوره: ١٢٦ خاطرة، ليتبيَّنَ أَن المنشورَ منها حتى اليوم يبلغ ٤٤٨ خاطرة[٩].

٩) صدرَتْ جميعُها (الـ٤٤٨) في الترجمة التي وضعَها للكتابِ الكاتبُ والمترجمُ البلجيكيُّ فيليب ماريسيل Philippe Maryssael، وصدرَت في تشرين الثاني ٢٠٢٣ لدى منشورات Editions Orizons – باريس، ضمْن مجلَّدٍ أَوَّل (٥٣٠ صفحة) يضمُّ ترجمتَهُ أَربعةَ كتُب: «المجنون»، «السابق»، «النبي»، «رَمل وزَبد». وفي المجلَّد الآخَر: «يسوع ابن الإنسان»، «آلهة الأَرض»، «التائه»، «حديقة النبي»، «لِعازر وحبيبتُه»، «الأَعمى». وماريسيل تخصَّصَ في تَنَاوُلِ جميع كتُب جبران الإنكليزية وترجمتِها إلى الفرنسية مع تعليقاتٍ وشروحٍ ووثائقَ أَصليةٍ وملاحق.

وحين عَلِمَ بعزمي على ترجمة الكتاب لمناسبة مئويته (١٩٢٦–٢٠٢٦)، أَرسلَ لي ترجمتَه الفرنسية الكاملة (٤٤٨ خاطرة) مع أَصلها الإنكليزي، مُتمنِّيًا علَيَّ أَن أُترجمَها جميعَها إلى العربية. سوى أَنني فضَّلْتُ أَنْ أُترجمَ منها فقط تلكَ التي صدرَتْ على حياة جبران وبإشرافه (٣٢٢ خاطرة)، احترامًا رغبتَه ما شاءَ هو أَن ينتقيها في كتابه سنة ١٩٢٦. ولم أَبحثْ إذا الخواطرُ الباقية (١٢٦ خاطرة) كانت موجودةً لديه ويَنْوي إدراجَها في كتابٍ لاحق، أَو أَنه، لسببٍ خاصٍّ به، لم يشأْ أَن يُصدرَها في كتابه، أَو أَنها كانت مبعثَرَةً ولم يهْتَدِ إليها، ولا اهتدَت إليها باربرة يونغ.

## ٦. شكر ووفاء

لأَنَّ لكلِّ كاتبٍ حاجةً ضروريةً إلى «عين ثالثة» تَقرأُ نصَّه قبل مثوله إلى الطبع، فتلتقطُ ما انزلق عنه لأَنه يقرأُ نصَّه بذاكرته لا ببصره، حظيَ هذا الكتاب بعيونٍ ثالثةٍ راجَعَتْهُ بالقلب لا بالعين، فَدَرَأَت عنه ما فاتني.

لذا وجَبَ الشُكر وفاءً لكُلِّ مَن راجعه:

### أ. بتدقيقِ الترجمة عن الإنكليزية:

١. الدكتور عدنان حيدر وزوجته الدكتورة پولا – من جامعة أَركنصَا في فايِتْفيل (ولاية آركنصَا الأَميركية).

٢. الدكتورة مايا طوني الحاج – رئيسة قسم اللغات والترجمة في كليَّة الآداب لدى جامعة سيدة اللويزة (NDU).

**ب. بمراجعة النص العربي مفصولًا عن الأَصل الإنكليزي:**

١. الدكتور جورج نجَّار

٢. الأَديب سهيل مطر

٣. الشاعر حبيب يونس

أَشكرهم على ما ساعدُوني به اقتراحاتٍ وتصويبًا قُرباه من الأَصل، وعلى ما أَنقذوني به في دقَّة التشكيل وعين المضارع وتصويب لغويّ، وسائر ما تعلَّمْتُه منهم مضمونًا ولغةً. وأَعتذرُ لبعض ما لم آخُذ به من اقتراحاتهم كي لا أَقعَ في أَخطاء شائعة أَو عبارات مأْلوفة، سعيًا مني عنيدًا إِلى طواعية العربية في قابلية التجديد من ضمن أُصولها والقواعد، كي تكونَ بنت العصر في تحوُّلات اللغة صوب مقاربةٍ أَبسط للمعنى ورموزه.

بعدَ هذه المقدِّمة المسْهَبة، جمَعْتُ فيها ما وجدْتُهُ عن هذا الكتاب من وثائقَ ونصوصٍ لن يكون لها مكانٌ كاملٌ عنه إِلَّا في هذه الطبعة، هلُمَّ نَدخل إِلى تلك الوثائق، وإِلى

خواطر الكتاب التي رأَى فيها جبران ما سوى حبَّاتِ رَملٍ وفُقاعاتِ زَبَد، وربما لم يحدُس إلى أَنها، بعد ١٠٠ سنة على صدورها، ما زالتْ حبَّاتُها نابضةً وفُقاعاتُها خصيبةً، وأَنَّ أَجيالًا متعاقبَةً بعدُ ستَنهَلُ صفحاتِ حياةٍ وعِبَرٍ من «كتاب الرَمل والزبَد».

**مُدير «أَكاديمْيا فيليب سالم للتراث اللبناني»**

الجامعة اللبنانية الأَميركية LAU – بيروت

١١ تموز ٢٠٢٦

# الطريق إلى النص
# صورًا ووثائق

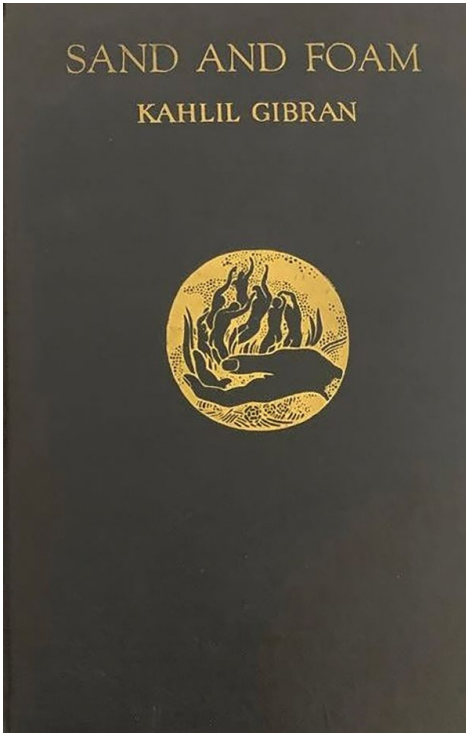


غلاف الطبعة الأصلية الأُولى (نيويورك ١٩٢٦)

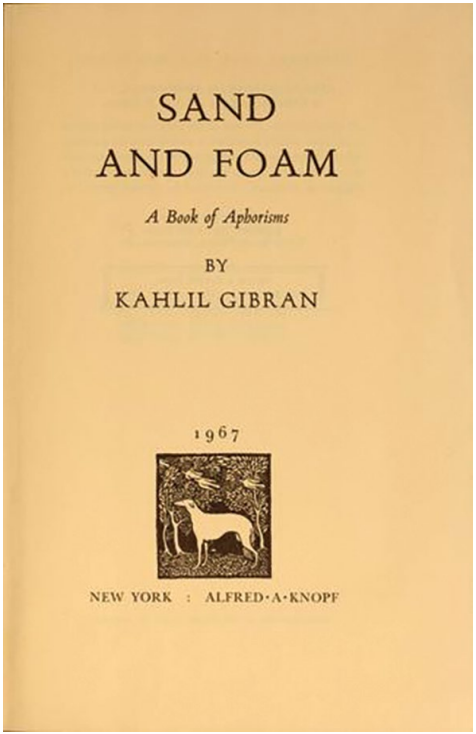


صفحة داخلية للكتاب (طبعة ١٩٦٧)

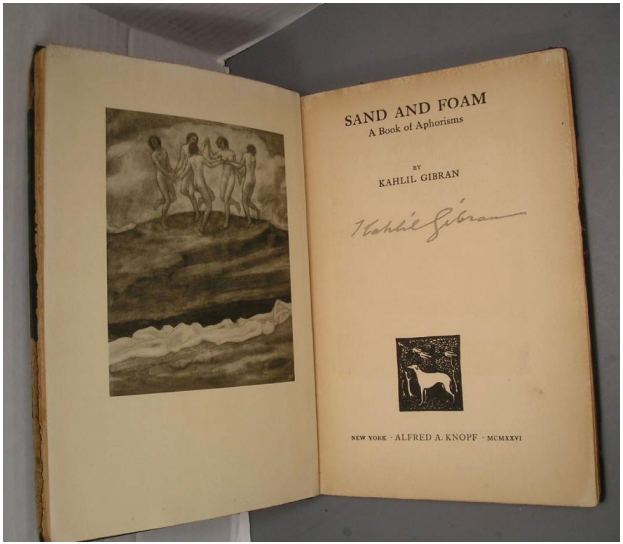


صفحة داخلية عليها توقيع جبران، مهْديًا كتابَه إلى أحد أصدقائه

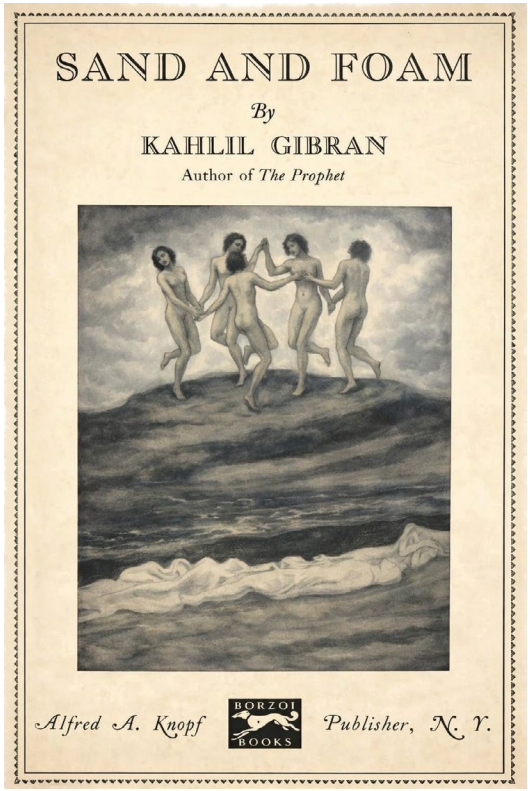


غلاف الطبعة الثانية للكتاب لدى منشورات أَلْفْرد كْنوف (نيويورك)

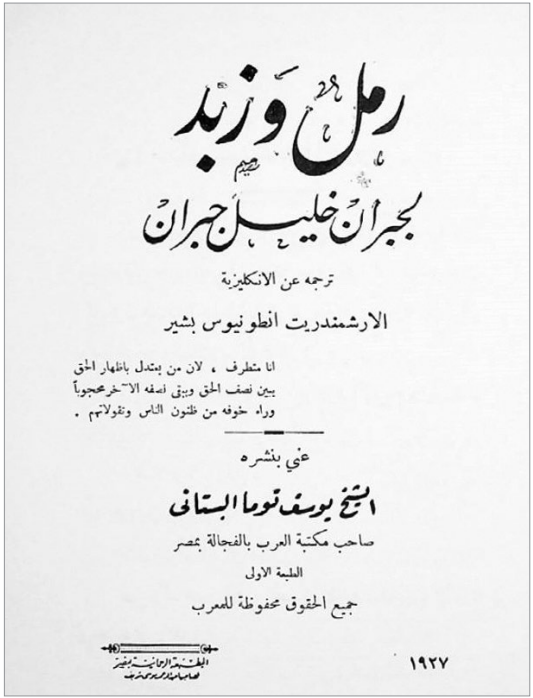

رمل وزبد

جبران خليل جبران

ترجمه عن الانكليزية

الارشمندريت انطونيوس بشير

انا متطرف ، لان من يبتدل باظهار الحق
بين نصف الحق وبين اصفه الآخر محجوباً
وراء خوفه من ظنون الناس وتقولاتهم .

عني بنشره

الشيخ يوسف توما البستاني

صاحب مكتبة العرب بالفجالة بمصر

الطبعة الاولى

جميع الحقوق محفوظة للمعرب

١٩٢٧

الطبعة العربية الأولى للكتاب بترجمة الأرشمندريت أنطونيوس بشير (القاهرة ١٩٢٧)

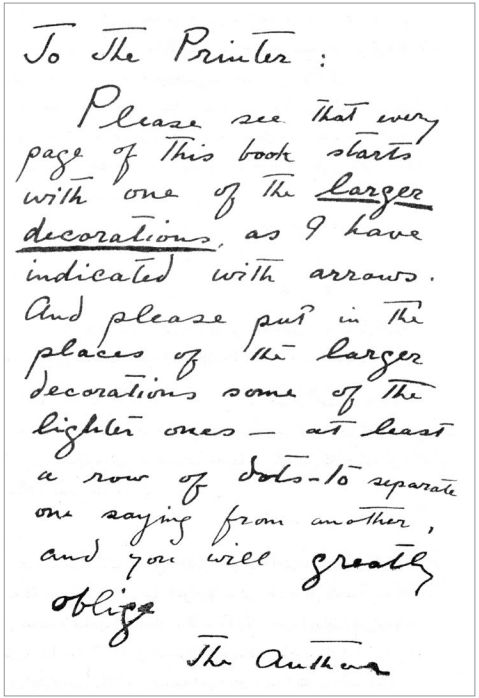

To the Printer :

Please see that every page of this book starts with one of the larger decorations, as I have indicated with arrows. And please put in the places of the larger decorations some of the lighter ones — at least a row of dots-10 separate one saying from another, and you will greatly oblige

The Author

رسالة جبران (بتوقيع «المؤلِّف») إلى مدير المطبعة، يشرح له فيها كيف يريد أن يكون إخراجُ كلّ صفحة من «رَمل وزَبَد»

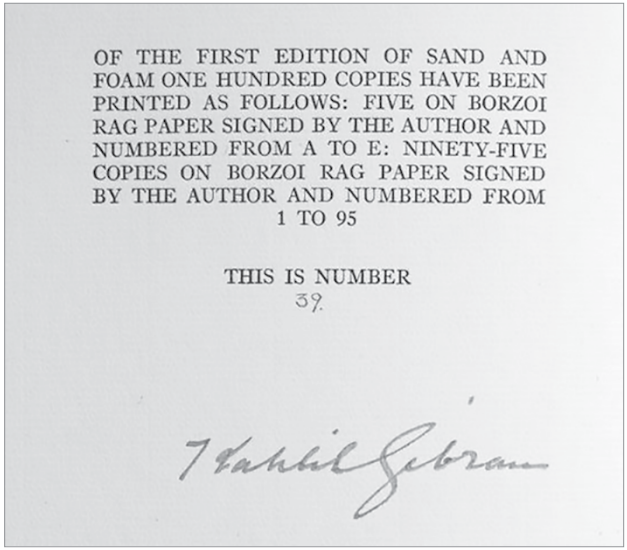

OF THE FIRST EDITION OF SAND AND FOAM ONE HUNDRED COPIES HAVE BEEN PRINTED AS FOLLOWS: FIVE ON BORZOI RAG PAPER SIGNED BY THE AUTHOR AND NUMBERED FROM A TO E: NINETY-FIVE COPIES ON BORZOI RAG PAPER SIGNED BY THE AUTHOR AND NUMBERED FROM 1 TO 95

THIS IS NUMBER
39.

Kahlil Gibran

الصفحة الداخلية من الطبعة الأُولى لـ«رَمل وزَبد»، وفيها أَن ١٠٠ نسخة منه مطبوعة هكذا: خمس نسَخ على ورق بُرْزُويْ مرقَّمة من A إلى E، عليها توقيع المؤلف، و٩٥ نسخة على ورق بُرْزُويْ مرقَّمة من ١ إلى ٩٥ عليها توقيع المؤلف. ويظهر هنا توقيعه على النسخة رقم ٣٩.

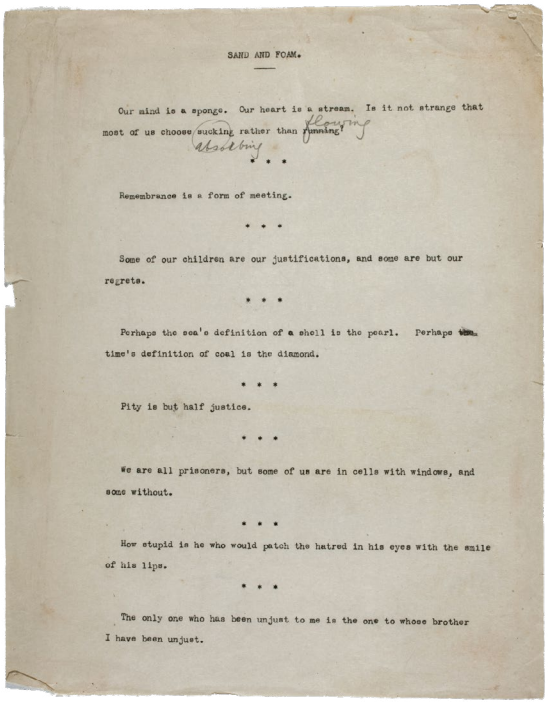

SAND AND FOAM.

Our mind is a sponge. Our heart is a stream. Is it not strange that most of us choose sucking rather than running?

* * *

Remembrance is a form of meeting.

* * *

Some of our children are our justifications, and some are but our regrets.

* * *

Perhaps the sea's definition of a shell is the pearl. Perhaps time's definition of coal is the diamond.

* * *

Pity is but half justice.

* * *

We are all prisoners, but some of us are in cells with windows, and some without.

* * *

How stupid is he who would patch the hatred in his eyes with the smile of his lips.

* * *

The only one who has been unjust to me is the one to whose brother I have been unjust.

صفحة من «رَمل وزَبد» كما هيَّأَتْها باربره يونغ على آلتها الكاتبة. وعليها بعض التعديلات من جبران قبل ذهاب الكتاب إلى الناشر كنوف وصدوره سنة ١٩٢٦.

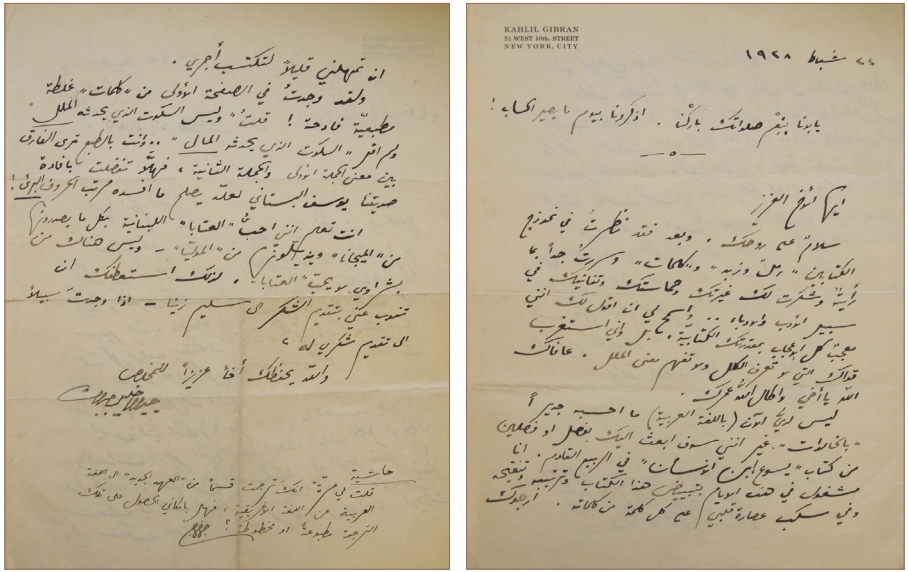

رسالة إلى الأَرشمندريت أَنطونيوس بشير من جبران في ٢٤ شباط ١٩٢٨ حول ترجمة الأَرشمندريت كتاب «رَمل وزَبد» شاكرًا إياه عليها، وعلى إصدار الأَرشمندريت كتاب «كلمات جبران» منتخِبًا مقاطع من كتب أُخرى.

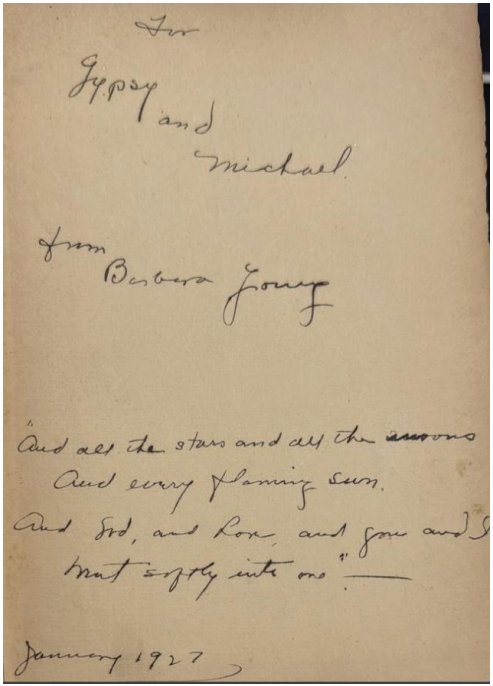
For
Gypsy and
Michael
from Barbara Young

"And all the stars and all the ~~suns~~
And every flaming sun.
And God, and Love, and you and I
Must surely unite one."

January 1927

صفحة داخلية من الكتاب، عليها إهداء باربرة يونغ إلى صديقيها جيبسي ومايكل (كانون الثاني ١٩٢٧).

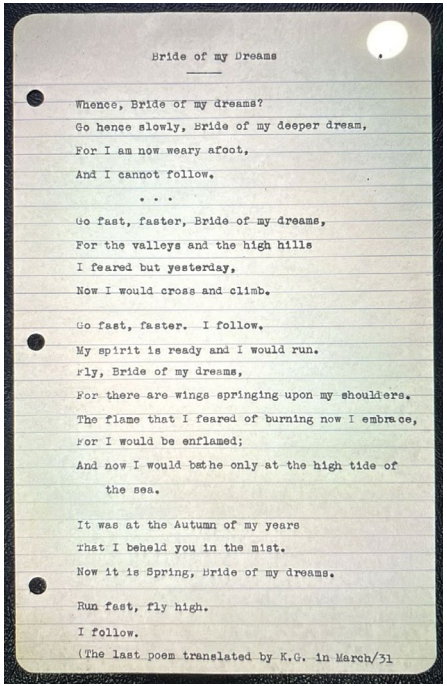
Bride of my Dreams

Whence, Bride of my dreams?
Go hence slowly, Bride of my deeper dream,
For I am now weary afoot,
And I cannot follow.
. . .
Go fast, faster, Bride of my dreams,
For the valleys and the high hills
I feared but yesterday,
Now I would cross and climb.

Go fast, faster. I follow.
My spirit is ready and I would run.
Fly, Bride of my dreams,
For there are wings springing upon my shoulders.
The flame that I feared of burning now I embrace,
For I would be enflamed;
And now I would be the only at the high tide of
the sea.

It was at the Autumn of my years
That I beheld you in the mist.
Now it is Spring, Bride of my dreams.

Run fast, fly high.
I follow.
(The last poem translated by K.G. in March/31

آخر قصيدة ترجمها جبران إلى الإنكليزية من نصه العربي «عروس أحلامي» (آذار ١٩٣١) أي قبل وفاته بأيام

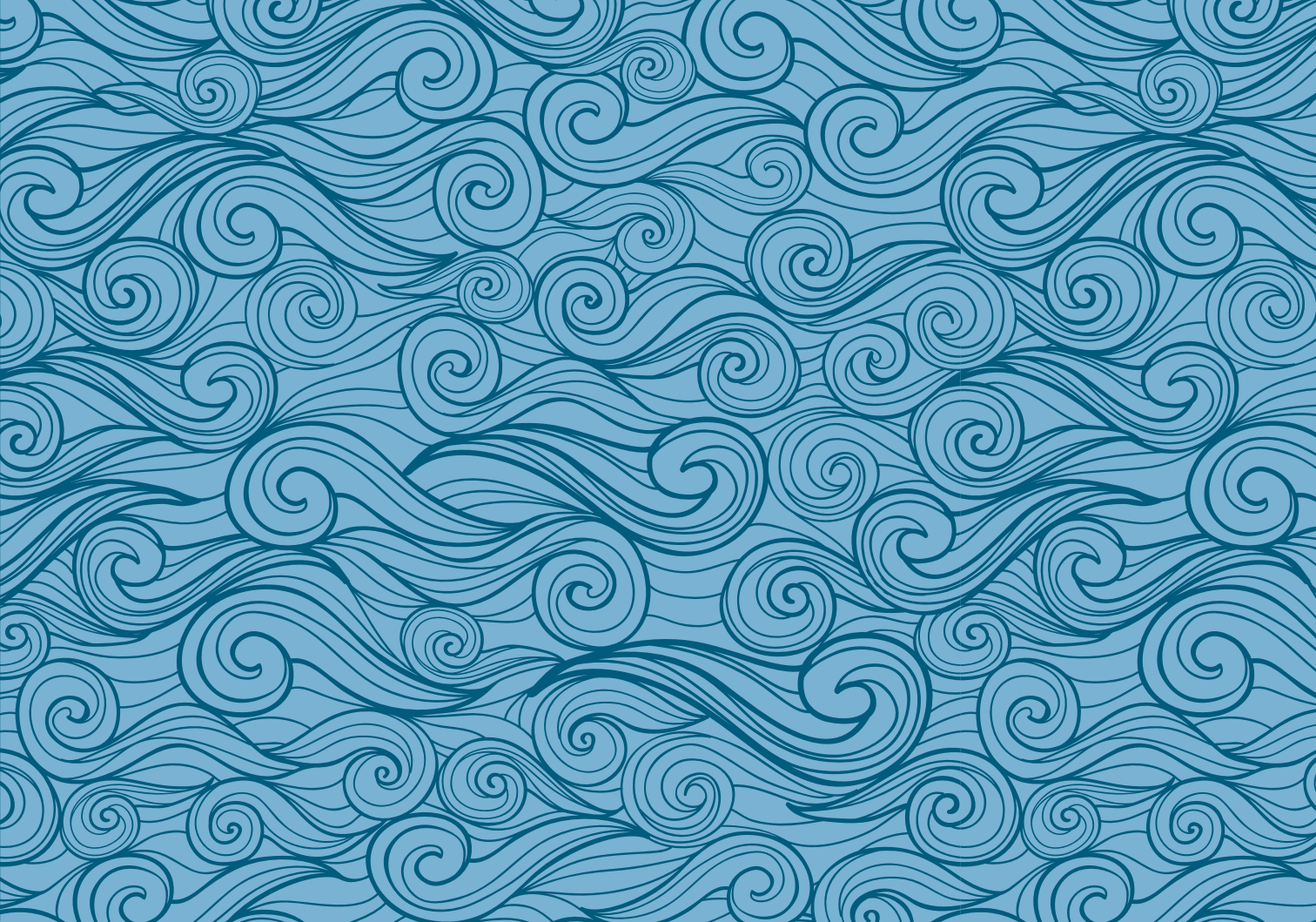

كتاب

# الرَمل وَالزَبَد

ليس هذا الكتابُ الصغيرُ بأَكثرَ من اسمه: «رَمل وزَبَد»، حفنةٌ من الرَمل وقبضةٌ من الزَبَد. وبالرغم عمَّا أَلْقَيْتُ بين حبَّاته وحبَّات قلبي، وبالرغم عمَّا سكبْتُ على زَبَده من عُصارة روحي، فهو الآن، وسيبقى أَبدًا، أَقربَ إِلى الشاطئِ منه إِلى البحر، وأَدنى إِلى الشَوْق المحدود منه إِلى اللقاء الذي لا يحدُّه البيان.

بين جانحَي كلِّ رجلٍ وكلِّ امرأَةٍ قليلٌ من الرَمل وقليلٌ من الزَبَد.

ولكنَّ بعضَنا يُبَيِّنُ ما بين جانحَيه، وبعضُنا يَخْجَل.

أَمَّا أَنا فلَم أَخجَلْ.

فاعذُرُوني. وسامحُوني.

جبران

نيويورك – كانون الأَول ١٩٢٦

١

أَمشي... أَمشي عند هذي الشواطي، ما بين الرَمل والزَبَد. سيَغْمُر المدُّ آثارَ قدَمَيَّ، وتُبَعثِرُ الزبدَ الريحُ. لكنَّ البحر باقٍ أَبدًا، ومثْلُه الشاطئ.

٢

ذاتَ مرةٍ مَلأْتُ كفِّي ضبابًا. وإذ فتحتُها، كان تَحَوَّلَ دُودة. ضمَمْتُ كفِّي مجدَّدًا ثمَّ فتَحْتُها، فإذا فيها عصفور. عُدتُ ضَمَمْتُها وفتَحْتُها، فانتصب في تجويفها رجلٌ حزينٌ وجهُه إلى فوق. ضَمَمْتُ عليه كفِّي. وحين فَتَحْتُها لم أَجدْ سوى ضباب. لكنني سمعتُ أُغنيةً كُلِّيَّةَ العُذُوبة.

٣

حتى أَمسِ كنتُ أَظنُّني في كوكب الحياة جُزءًا مرتعشًا بلا إيقاع. اليومَ أَعي أَني أَنا الكوكب، وفيَّ ترتعش أَجزاءُ الحياةِ جميعُها بإيقاعاتٍ متناغمة.

٤

في يقظتهم يقولون لي: «أَنتَ والعالَم الذي تعيشُ فيه، ما سوى حبةِ رملٍ على شاطئٍ لامُتَناهٍ عند بحرٍ غيرِ محدود». وفي حُلمي أُجيبُهم: «أَنا البحرُ غيرُ المحدود. وجميعُ العوالِم ما سوى حبَّاتِ رملٍ على شاطئي».

٥

مرةً وحيدةً وجَدْتُني أَبْكم، ذاتَ سألَني أَحدُهُم: «مَن أَنت»؟

٦

أَوَّلُ فكرةٍ للإله: كان الملاك. وأَوَّل كلمةٍ: الإنسان.

٧

قبل أَلفِ أَلفِ سنة، كنا كائناتٍ تائهةً مرتعشَةً توَّاقة، قبل أَن يُلْقِمَنا الكلامَ البحرُ، والريحُ في الغابة. فكيف لا نعبِّر عن أَيامنا القديمة فينا إِلَّا بأَصواتِ أَيامنا الحديثة؟

٨

مرةً وحيدةً نطقَ أَبو الهول. قال: «في حبَّة الرمل صَحراءُ كاملة، والصحراءُ كلُّها حبَّةُ رمل. فلنَعُدْ جميعُنا إِلى الصمت». سمعتُ قَولتَه، ولم أَفهمْها.

٩

رأَيتُ يومًا إِلى وجه امرأَةٍ فتبيَّنتُ فيه أَطفالَها الذين لم يولَدوا بعد. وذاتَ رأَتِ امرأَةٌ إِلى وجهي، عرفَت فيه أَسلافي الذين ماتوا قبل ولادتها.

١٠

وَدِدْتُني أُحقِّقُ اليومَ ذاتي. وكيف لي، إن لم أُصبح كوكبًا شعبُهُ من أَذكياء؟ أَليس هذا تَوقَ كلِّ إنسان؟

١١

حبَّةُ اللؤْلؤ معبدٌ شادَه الأَلم حاضنًا حبَّةَ رمل. أَيُّ توقٍ شادَ أَجسادَنا؟ وأَيَّ حبَّاتٍ حَضَن؟

١٢

يوم قذفَني الإلهُ حصاةً في هذه البحيرة الساحرة، خَضَضْتُ سكونَها بدوائرَ دوائر. وحين بلغتُ قعرها تحوَّلتُ إلى سُكون.

١٣

أَعطِني الصمت، أَجرُؤْ على الليل.

١٤

وُلدتُ ثانيةً حين روحي وجسَدي تحابَّا فتزوَّجا.

١٥

عرفتُ يومًا رجلًا حادَّ السمْع لكنه أَبكم: بُتِرَ لسانُه في معركة. اليومَ عرفتُ أَيَّ معاركَ خاضَ قبل أَن يَعتَورَه الصمت. وأَطمَئنُّ أَنه مات: العالَم أَضْيَق من أَن يتَّسعَ لكلَيْنا.

١٦

طويلًا نمتُ صامتًا في تربة مصر، غافلًا عن الفصول. وحين وَلَدَتْني الشمسُ نهضتُ أَمشي على ضفَّة النيل، أُغنِّي نهارًا وأَحلُم ليلًا. ثمَّ داستْني الشمسُ بأَلْفِ قَدَمٍ كي أَعود إلى النوم ثانيةً في تربة مصر. إنَّما، بأُعجوبة ولُغْز، تلْكَ الشمسُ التي جَمَّعتْني، لا يمكنها تُبدِّدُني. وهاني ما زلتُ أَمشي على ضفة النيل، مستقيمًا، بخطواتٍ وُثْقى.

١٧

التذكُّر وجهٌ من اللقاء.

١٨

النسيانُ نَفَسٌ من حرية.

١٩

نحن نقيس الزمن بشروقات الشمس اللاتُحصى، وهُم يقيسونه بآلات صغيرة في جيوبهم الصُغرى. فكيف إذَن نلتقي في مكانٍ وزمانٍ واحِدَين؟

٢٠

لـمَن يرى من نوافذ المجرة إلى الفضاء تحته، لا يعودُ الفضاءُ مجرَّدَ مسافةٍ كوكبيةٍ بين الأَرض والشمس.

٢١

البشريةُ نهرُ نُورٍ يجري في الوجود، منذ ما قبلَ الوجود.

٢٢

الأَرواحُ القابعةُ في الأَثير، أَلَا تحسُد الإنسانَ، ولو مُعذَّبًا؟

## ٢٣

في طريقي إلى المدينة المقدَّسة، صادفتُ حاجًّا يقصِدها. سأَلتُه: «هل هذه هي الطريق إلى المدينة المقدَّسة»؟ أَجابني: «اتْبَعْني، تبْلُغْها في نهار وليلة». تَبِعْتُهُ. نهاراتٍ ولياليَ مشَينا ولم نبلُغ المدينة المقدَّسة. وكم فاجأَني أَنْ غضِبَ علَيَّ لأَنه ضلَّلَني.

## ٢٤

إلهي: اجعلْني فريسةَ الأَسد قبْل أَن تجعلَ الأَرنبَ فريستي.

## ٢٥

لن يبلُغَ الفجرَ مَن لم يسْلُك طريقَ الليل.

## ٢٦

يقول لي بيتي: «لا تغادِرْني لأَن فيَّ ماضيك». وتقول لي الدَرب: «أُسْلُكني: أَنا مستقبلُك». أُجيبُهُما: «لا ماضٍ لي ولا مستقبل. إذا بقيتُ هنا، في بقائي رحيل. وإذا غادرتُ إلى هناك، في مغادرتي بقاءٌ هنا. ما سوى الحبِّ والموتِ قادران على التغيير».

## ٢٧

كيف أَفقِدُ إيماني بعدالة الحياة، وأَحلامُ النائمين على الريش ليسَت أَجملَ من أَحلام مَن يفترشون التراب؟

## ٢٨

ما أَغربَ أَن يكونَ بعضًا من أَلَمي اشتهاءُ بعض الملَّذات!

٢٩

سبعَ مراتٍ احتقَرتُ روحي: الأُولى حين رأَيتُها تتظاهر بالوضاعة كي تَبلُغ الرفعة، الثانية حين رأَيتُها تعْرُج أَمام المقْعَدِين، الثالثة حين أُعطيَتْ أَن تختار بين الصعوبة والسُهُولة فاختارت الأَخيرة، الرابعة حين أَخطأَتْ فتحَجَّجَتْ بأَنَّ الآخرين أَيضًا يخطئُون، الخامسة حين احتملَتْ لضُعفها فاعتبرَتْ صبرَها قوَّةً، السادسة حين كرهَتْ بشاعةَ وجهٍ جاهلةً أَنه أَحد أَقنعتِها، السابعة حين ترنَّمَتْ بأُغنيةِ مديح وعَدَّت غناءَها فضيلة.

٣٠

أَجهلُ الحقيقةَ المطلقَة. لكنني أَتواضع أَمام جهلي، وفي تَوَاضعي شرفي وثوابي.

٣١

بين تَخَيُّل الإنسان وإنجازه: مدًى لا يجتازه سوى تَوْقِه.

٣٢

الجنَّة قُبالتي، خلْف هذا الباب في الغرفة المحاذية. لكنني فقدْتُ المفتاح. ربما لَم أُعِدْهُ إلى مكانه.

٣٣

أَنتَ أَعمى وأَنا أَصمُّ وأَبْكَم. فَلْنَتَصافَحْ كي نَتَفاهَم.

٣٤

ما تقييمُ الإنسان حيثُما بلَغ، بل حيثُما يتوق أَن يبلُغ.

٣٥

بعضُنا كالحبر والآخرُ كالوَرَق. لولا سوادُ بعضِنا لكان الآخَرُ أَبكَم. ولولا بياضُ الآخَر لكان بعضُنا أَعمى.

٣٦

هاتِ لي أُذْنًا فأُعطيَكَ صوتًا.

٣٧

عقلُنا إسفنجةٌ، وقلبُنا جدول. أَليس غريبًا أَن يُفضِّلَ معظمُنا الامتصَاصَ على الانسياب؟

٣٨

إذا تَشَوَّقْتَ إلى نِعَمٍ لا تعرف اسمها، وحزِنْتَ ولا تعرف السبب، فأَنت تنمو مع كلِّ ما ينمو، وتَتَسامى صوب ذاتِك العُظمى.

٣٩

من يَسكَرْ برؤْيا، يجِدِ الخمرةَ أَصغرَ تعبيرٍ عنها.

٤٠

تحتسي الخمرةَ كي تَسْكر، وأَحتسي التي تُصْحيني من خمرتِك.

٤١

حين كأْسي فارغة، أُشيحُ عن فراغها. وحين هي نصفُ ممتلئة، يُغيظُني غيرُ الممتلئ.

٤٢

حقيقةُ الآخَر ليسَت في ما يُبديه، بل في ما يعجَز عن إبدائه. إذا شئْتَ فهمَه لا تُصْغِ إلى ما يقول بل إلى ما لا يقوله.

٤٣

لا معنى لنصف ما أَقولُه. لكنني أَقولُهُ كَي يبلغَك نصفُه الآخَر.

٤٤

حسُّ الدُعابة معيارُ حسِّ التمييز.

٤٥

شعرتُ بوحدتي حين أَخذ الناس يمتدحون ثرثرتي، ويَعيبون فضائلَ صمتي.

٤٦

حين تَفتقد الحياةُ مَن يغنِّي قلبها، تُوجِد فيلسوفًا يَنطِق بعقلها.

٤٧

الحقيقةُ أَن تُعرَفَ دائمًا، وتُعْلَنَ أَحيانًا.

٤٨

الطَبيعيُّ فينا صامت، والمكتَسَبُ ثرثار.

٤٩

صوتُ الحياة بي قد لا يَبْلُغُ سَمْعَ الحياة لديك. إنما فلنتخاطبْ كي لا نشْعرَ بالعزلة.

٥٠

حين تتكلم امرأَتان، تهذَران. وإِذا واحدة نطقَتْ، أَعلنَتْ كلَّ ما في الحياة.

٥١

ربما نقيقُ الضفادع أَقوى من خُوار الثيران. لكنها لا تستطيع جرَّ السكَّة في الحقل، ولا تحريكَ دولابِ المعصرة، ولا تُصَنَّعُ من جلدها أَحذية.

٥٢

وحده الأَخرس يحسُد الثرثار.

٥٣

مَن يصدِّق الشتاءَ إِذا قال: «الربيعُ في قلبي»؟

٥٤

كلُّ بِذْرة تَوْق.

٥٥

إن فتحتَ فعلًا عينيكَ لتُبْصِر، سترى وجهكَ في جميع الوجوه. وإذا أَرهفتَ أُذُنيكَ لتُصغي، ستَسمَع صوتَكَ يتردَّدُ في جميع الأَصوات.

٥٦

اثنان لاكتشاف الحقيقة: أَوَّلُ ليقولَها والآخَرُ ليَفهمَها.

٥٧

صحيحٌ أَنَّنا دائمًا مغمورون بأَمواج الكلمات، لكنَّ أَعماقَنا باقيةٌ صامتة.

٥٨

أَكثرُ العقائد زجاجُ نافذة: نرى الحقيقة عَبْره لكنه يفصلُنا عنها.

٥٩

في لُعبة «اختبِئْ لأَجدَك»: إنِ اختبأْتَ في قلبي سهْلٌ إيْجادُك. وإنْ لَجَأْتَ إلى صَدَفَتِك، عبَثًا يُبْحَثُ عنك.

٦٠

قد تتقنَّعُ المرأَة بِـ... ابتسامة.

٦١

ما أَنبل قلبًا حزينًا، ويشارك بأُغنيةٍ فَرِحَةٍ قلوبًا فَرِحَة.

٦٢

مَن يرغبُ في فَهْم امرأَةٍ، أَو تحليل نبوغ، أَو فكِّ لُغْزِ الصمت، هو ذاتُهُ الْيُفيقُ من حلْمٍ جميلٍ ليأْتي إِلى مائدة الفطور.

٦٣

سوف أَمشي مع السائرين، ولن أَجمُدَ واقفًا أُعاينُ موكبَ العابرين.

٦٤

تَدينُ بأَثمنَ من ذهبٍ لِمَن يخدُمك. بادِلْه من قلبكَ، أَو بخدمات.

٦٥

لم نَعِش حياتنا بلا نَفْع. أَلم يَشيدوا بعظامنا أَبراجًا؟

٦٦

لا نَكُونَنَّ شخصانيِّين ولا تجزيئِيِّين: فكْرُ الشاعر وذَنَبُ العقرب طالعان معتَزَّيْن من تربة واحدة.

٦٧

من كل تنِّينٍ، يولدُ فارسٌ «جِرجِسِيٌّ» يَصرعُه.

٦٨

الأَشجارُ قصائدُ تكتُبُها تربةُ الأَرض على صفحة الفضاء. ونحن نجُزُّها فنحوِّلها ورقًا نَملأُ صفحاته بخَوائنا.

٦٩

إن شعرتَ برغبةِ الكتابة (لا يُدركُ سرَّها إلَّا القدِّيسون) يلزمكَ إدراكٌ وفنٌّ وسحرٌ: إدراكُ موسيقى الكلمات، فنُّ ألَّا تكون متصنِّعًا، وسِحرُ أن تُحبَّ قرَّاءَك.

٧٠

يغمِسُون في قُلُوبنا أَقلامهم، ويدَّعون الإلهام.

٧١

لو شجرةٌ كتَبَت سيرتَها، لَما اختلفَت عن سيرةِ أَيِّ عِرْقٍ.

٧٢

بين قُدرةِ أَن أَكتبَ قصيدةً، ونشوةِ قصيدةٍ لم أَكتُبْها بَعد، أَختار النشْوة، فهي أَفضلُ الشعر. لكنكُم، أَنتَ وجيراني، ترَون أَني دومًا أُسِيْءُ الاختيار.

٧٣

ليس الشعرُ تعبيرًا عن فكرة، بل نشيدٌ طالعٌ من جرحٍ نازفٍ، أَو شفتَيْن باسمتَيْن.

٧٤

لا عُمرَ للكلمات. فَلْتَلْفُظْها أَوْ تَكْتُبْها مُدركًا خلودَها.

٧٥

الشاعر ملكٌ مخلوعٌ، جالسٌ وسْط رماد قصره، محاولًا زخرفةَ رسْمٍ بالرماد.

٧٦

الشعر صياغةُ فرحٍ وأَلَمٍ ودهشةٍ بحفنةٍ من القاموس.

٧٧

عبَثًا يبْحثُ الشاعرُ عن والدةٍ لأُغنياتِ قلبه.

٧٨

قلتُ يومًا لشاعر: «لن نعي قيمتَك إلَّا بعدما تموت». أَجابني: «صحيح: الموت دومًا كاشف. إن شئْتم فعلًا إدراكَ قيمتي: فأَنَّ في قلبي أَكثرَ مما على لساني، وفي تَوقي أَكثرَ مما في قبضة يدِي».

٧٩

إنْ غنَّيْتَ الجمال، ولو وحدَك وسْط صحراء، سَتَلْقى مَن يُصغي إليك.

٨٠

الشعرُ حكمةٌ يَطْرَب القلبُ لها. والحكمةُ شعرٌ يَترنَّمُ الفكْرُ به. إذا أَطربْنا قلب الإنسان، وتَوَازيًا رنَّمنا في فكْره، فَسَيَحْيَا حقًّا في ظلّ الإله.

٨١

الإلهام لن ينقطعَ عن الغناء، ولن يفَسِّر أَبدًا غناءَه.

٨٢

غالبًا ما نرنِّمُ لأَولادِنا كي نَذهبَ نحن إلى النَوم.

٨٣

ما كلماتُنا سوى فتاتٍ يسَّاقطُ من وليمة الفكْر.

٨٤

التفكيرُ صخرٌ عائقٌ على طريق الشعر.

٨٥

المغنِّي البارع هو الْيُغَني سُكوتَنا.

٨٦

كيف تغنِّي وفمُك ممتلئٌ طعامًا، أَو تُبارِكُ وكفُّك ممتلئةٌ ذهبًا؟

٨٧

يقال إِنَّ البلبلَ، حينَ يغنِّي حُبَّه، يَغْرِزُ صدرَه بشوكة. وكذلك نحن. أَما هكذا يجب أَن نغنِّي؟

٨٨

النُبوغ تغريدةُ شحرورٍ فجْرَ ربيعٍ متباطئ.

٨٩

أَعلى فكْرٍ محلِّق، لا يستغْني عن حاجاته المادية.

٩٠

المجنون لا يقِلُّ مهارةَ عزفٍ عنكَ وعني. إنما ينقصُ آلتَه بعضُ الدَوْزَنة.

٩١

الأُغنيةُ الصامتةُ في قلب أُمٍّ، تَصدَحُ من شفَتَي طفلها.

٩٢

لا تَشَوُّقَ إِلَّا وَيتحقَّق.

٩٣

لا أَتَّفق تمامًا مع ذاتيَ الأُخرى. بيننا دومًا جوهرُ الحقيقة.

٩٤

ذاتُك الأُخرى تُشفقُ دومًا علَيك، وهي في هذه الشفَقة تنمو. هكذا تتعادلان.

٩٥

لا صراعَ بين الروح والجسد إِلَّا في عقول مَن روحُهم نائمةٌ وجسَدُهم مترنِّح.

٩٦

ذاتَ تبلُغ قلب الحياة، تجدُ الجمال في كل ما حولك، حتى في عيون مَن يتعامَون عن الجمال.

٩٧

نُمضي حياتَنا لنكتشفَ الجمال. كلُّ ما عداه، محطَّةُ انتظار.

٩٨

إزرعْ بذرةً في التُربة تُنْبتْ لك زهرة. إرفَع حُلمَكَ إلى المدى، تنهملْ منه حبيبتُك.

٩٩

يومَ وُلدْتَ ماتَ الشيطان. ما عادَ لكَ أَن تمُرَّ بالجحيم لملاقاة ملاك.

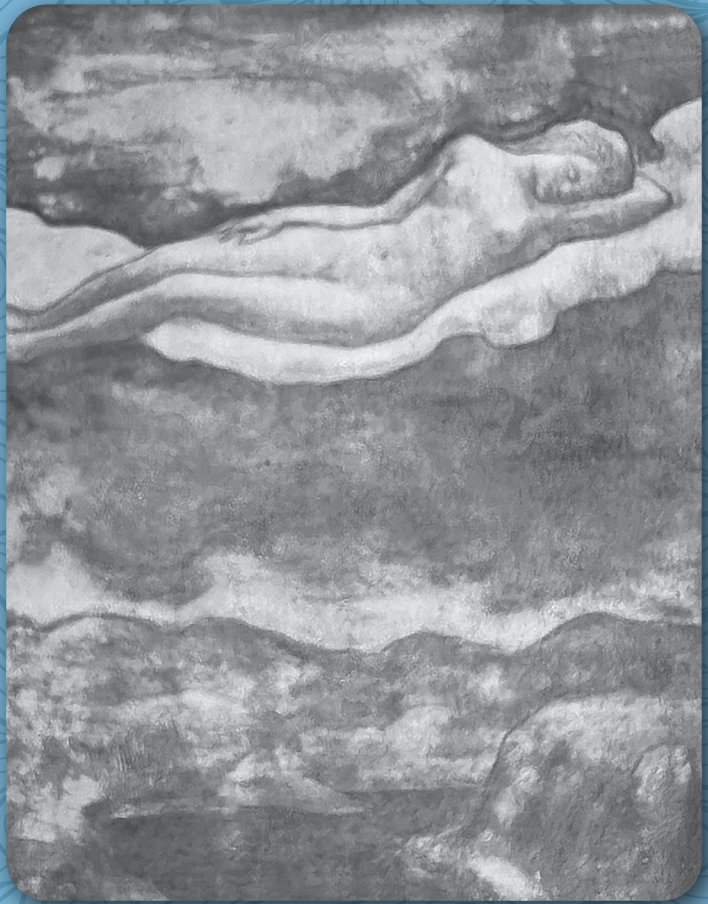

١٠٠

كثيرًا ما تستعير نساءٌ قلبَ رجل. ونادرةٌ بينهُنَّ مَن يمكنها امتلاكُه.

١٠١

ما ترغبُ في امتلاكه، لا تُعلِنْ عنهُ.

١٠٢

حين كفُّ رجلٍ تلامس كفَّ امرأَة، يلْمُسان معًا قلبَ الأَبدية.

١٠٣

الحبُّ حجابٌ بين عاشقَين.

١٠٤

كلُّ رجل يحبُّ امرأَتين: أُولى ينسجُها خيالُه، والأُخرى لم تولَد بعد.

١٠٥

رجالٌ لا يغفِرون للنساءِ أَخطاءَهُنَّ الصغرى، لن ينْعَموا بكُبْرى فضائلهنّ.

١٠٦

حبٌّ لا يتجدَّد يوميًّا، يُمْسي اعتيادًا يَؤُول إِلى استعباد.

١٠٧

العاشقان لا يَتعانقان، بل يُعانقَان ما بينهما.

١٠٨

الحبُّ والشكُّ لم يكونا يومًا على وِفاق.

١٠٩

الحبُّ كلمةٌ من نُورٍ خَطَّتْها أَصابعُ من نُورٍ على صفحةٍ من نور.

١١٠

الصداقةُ دائمًا مسؤُوليةٌ عذْبةٌ، وليسَت أَبدًا مصدَر منفعة.

١١١

إِن لم تفهمْ صديقَك في جميع ظروفه، فلن تَفْهَمَه أَبدًا.

١١٢

أَبهى أَثوابكَ نَسَجَهُ السوى، وأَلَذُّ طعامِكَ تذوقُهُ إِلى مائدة السوى، وسريرُكَ الأَهنأُ في بيت السوى. فكيف لكَ بعدُ أَن تنفصلَ عن هذا السوى؟

١١٣

عقلُكَ وقلبي لن يتوافقا حتى يتخلَّى عقلُكَ عن عيش الأَرقام وقلبي عن حياة الضباب.

١١٤

لن نتفاهمَ قطُّ حتى نختصرَ اللغة بسَبْع كلمات.[١]

١١٥

كيف تَنْفَضُّ أَختامُ قلبي إن لم ينكسِر؟

١) ذكرَتْ باربرة يونغ في الفصل التاسع («لا عُمْر للكلمات») من كتابها «هذا الرجل من لبنان» أَنَّ جبران، ذاتَ جلسةٍ معه في المحترف، قال لها: «لن نتفاهَمَ إِلَّا حين تتقلَّصُ اللغةُ إِلى كلماتٍ سبْعٍ». ولدى استفسارها أَجاب: «أَهمُّ اثنتَيْن هما: أَنتِ وأَنا. من دونهما لا وجودَ لباقي الكلمات. علينا أَوَّلًا أَن «نكون» ثم أَن «نأْخذ»... كلماتي السبْع هي: أَنتِ، أَنا... والخمس الباقية هي: الأَخْذ، الإِله، الحُب، الجمال، الأَرض».

١١٦

لا تنكشفُ حقيقتُكَ إلَّا عند حُزنٍ غامر أَو فرحٍ عامر. إن شئْتَها تنكشِف، فارقُص عاريًا في الشمس، أَو فاحمِل صليبَك.

١١٧

لو تهتمُّ الطبيعة لِما نقوله عن الاكتفاء، لَمَا انساب نهرٌ إلى بحر، ولا آل شتاءٌ إلى ربيع. ولو تهتمُّ لِما نقوله عن التقتير، كم واحدًا بيننا يتنشَّق هذا الهواء؟

١١٨

حين تُدير للشمس ظهرَك، لن ترى سوى ظلِّك.

١١٩

طليقٌ أَنتَ: واقفًا في شمس النهار، أَو رانيًا إِلى نُجوم الليل. وطليقٌ حين لا شمسَ ولا قمرَ ولا نُجوم. وطليقٌ حتى وأَنتَ تُغمضُ عينيكَ عن كلِّ ما حولك. لكنكَ أَسيرُ مَن تُحب لأَنكَ تُحبُّه، وأَسيرُ مَن يحبُّكَ لأَنه يحبُّك.

١٢٠

جميعُنا متسوِّلون عند باب الهيكل. كلٌّ منا ينال حصته من سخاء المِلك كلَّما دخل الهيكلَ أَو غادره. لكنَّنا نتحاسد. وهذا مظهرٌ آخَرُ من هُزْئِنا بالمِلك.

١٢١

لا يمكنك الأَكلُ فوق حاجتك. النصفُ الآخَر من الرغيف هو من حصَّة السوى. فَلْتَبْقَ منه كَسْرةٌ لضيفٍ طارئ.

١٢٢

لو لم تكن البيوتُ للاستضافة، لأَمْسَت أَضرحة.

١٢٣

قال ذئبٌ مُراوغٌ لحَمَل بَريْء: «أَلا تُشَرِّفُ منزلَنا بزيارة»؟ فأَجاب الخروف: «تشرِّفُني زيارةُ منزلكَ لو لم يكُن في معدتِك».

١٢٤

أَوقفتُ زائري على العتبة: «لا تُنظِّفْ قَدَميْك وأَنت داخل، بل حين تخرج».

١٢٥

ليس السخاءُ أَن تُعطيني ما أَحتاجُهُ أَكثرَ منك، بل ما تحتاجُهُ أَكثر مني.

١٢٦

أَنت خَيِّر حين تُنْعم. إنما أَشِحْ بنظَركَ وأَنتَ تعطي، كي لا ترى ارتباكَ مُتَلَقِّيك.

١٢٧

بين الرجل الأَغنى وذاك الأَفقر، فرقُ ما بين يومِ جوعٍ وساعةِ عطش.

١٢٨

غالبًا ما نستدين من غَدِنا ما نَفي به دُيونَ أَمسنا.

١٢٩

أَنا أَيضًا يزورُني ملائكةٌ وشياطين، فأَتخلَّص منهم: حين الزائرُ ملاكٌ، أَتلو صلاةً عتيقةً فيضْجَر. وحين هو شيطانٌ، أَرتكبُ خطيئةً قديمةً فيُشيحُ عني.

١٣٠

في المحَصِّلة: ليس سيِّئًا هذا السجن. لكنني لا أُحبُّ هذا الجدارَ الفاصلَ زنزانتي عن زنزانة جاري. وأَكيدًا: لا أَلومُ الحارسَ ولا مهندسَ السجن.

١٣١

من يعطيكَ ثعبانًا حين تسأَلُه سمكةً، ليس لديه ما يعطي سوى ثعابين. فهذا سخاؤُه.

١٣٢

قد ينجح الغشُّ أَحيانًا، لكنه دومًا يَؤُول إِلى انتحار.

١٣٣

أَنتَ غفورٌ حقًّا حين تَصفَح عن قتَلةٍ لم يسفكوا دمًا، وعن سارقين لم يسلُبوا، وكَذَبة لا يَنطِقون بالباطل.

١٣٤

مَن يعرف أَن يميِّزَ الخير من الشر، هو الْيُمْكِنُه لَمْس طرفٍ من وشاح الإله.

١٣٥

إِذا قلبُكَ بركانٌ، كيف تتوقَّع أَن يتفتَّح زهرٌ في كفَّيْك؟

١٣٦

ما أَغربَ غُروري: أُظلَمُ مرَّاتٍ أَو أُغَشّ، فأَتغاضى كي أَهزأَ ممن يظنُّونني لم أَعِ أَنهم ظلَمُوني وغَشُّوني.

١٣٧

ماذا أَقول في مُطاردٍ يوهِمُ أَنه مُطارَد؟

١٣٨

من يَمسَح كفَّيْه الموحِلَتَين بثوبكَ، أَعطِهِ إياه، فربما احتاجَه ثانيةً، وأَنتَ لن.

١٣٩

مؤْسفٌ أَنَّ الصيرفيَّ لا يمكنه أَن يكون بستانيًّا ناجحًا.

١٤٠

رجاءً لا تُخْفِ أَخطاءَكَ الموروثةَ بفضائلكَ المكتَسَبَةِ. قد أَقتبِلُها منك، إذ تشبه أَخطائي.

١٤١

مرارًا أُحَمِّلني جرائمَ لم أَرتكبْها، كي لا يرتبكَ جليسي.

١٤٢

أَقنعةُ الحياةِ ذاتُها تَحجُبُ سرًّا أَعمق.

١٤٣

قد تَحْكُم على الآخَرين وَفْق معرفتِكَ ذاتَك. قلْ لي إِذَن: مَن مذنبٌ بينَنا؟ ومَن بَريْء؟

١٤٤

العادل الحقيقيُّ مَن يشعرُ أَنه بعضُ مُذْنِبٍ عن أَفعالِك.

١٤٥

وحدَهما غبيٌّ ونابغٌ يُطيحان الشرائع البشرية. وكلاهما الأَقرب إلى قلب الإله.

١٤٦

لستَ تهرول إلَّا وأَنتَ مُطارَد.

١٤٧

إلهي: لا أَعداءَ لي. وإن يكُن لي عدوٌّ، شأْ أَن تَتَعادلَ قُوَّتانا فلا تغلِبُنا سوى الحقيقة.

١٤٨

تتصادقُ مع عدوِّك حين تموتان.

١٤٩

قد ينتحر أَحدُهم دفاعًا عن ذاته.

١٥٠

ذاتَ زمنٍ صُلِبَ إنسانٌ لأَنه كان مُحبًّا جدًّا ومَحبوبًا جدًّا. الغريبُ أَنني التَقَيْتُهُ أَمسِ ثلاثًا: الأُولى وهو يرجو شرطيًّا أَلَّا يسُوقَ زانيةً إِلى السجن، الثانية وهو يُنادِم صعلوكًا، والثالثة وهو يَلْطُمُ داعيةً في كنيسة.

١٥١

إن صحَّ كلُّ ما يقال عن الخير والشر، فحياتي جريمةٌ متواصلة.

١٥٢

الرحمةُ نصفُ عدالة.

١٥٣

الوحيدُ الذي ظلَمَني هو من كنتُ ظلَمْتُ أَخاه.

١٥٤

حين ترى رجلًا يساق إلى السجن، قُلْ في قلبكَ أَنْ ربما يَهربُ من سجْن أَضْيَق. وحين ترى سكِّيرًا، قُل في قلبك أَنْ ربما يهربُ مما هو أَقبَح.

١٥٥

كثيرًا ما تسلَّحتُ بالبُغض كي أُدافعَ عنّي. ولو انني أَقوى، لَما استعملتُ هذا السلاح.

١٥٦

ما أَغبى مَن يُخفي البُغْضَ في عينيه بِبَسمةٍ على شفتيه.

١٥٧

وحدهُم الأَدنى مني يحسدونَني أَو يكرهونَني. أَما أَنا فلم أُحسَدْ ولم أُكْرهْ، لأَني لستُ أَعلى من أَحد. وحدَهم الأَعلى مني يمتدحونني أَو يستخفُّون بي. أَما أَنا فلم أُمتدَحْ ولم يُسْتَخَفَّ بي، لأَني لستُ أَدنى من أَحد.

١٥٨

قولَتُكَ إِنكَ لا تفهمُني، مديحةٌ لا أَستاهلها، وإِهانةٌ لا تستحقُّها.

١٥٩

ما أَصغرَني حين تَهبُني الحياة ذهبًا وأُهديكَ فضَّة، فأَدَّعيني كريمًا.

١٦٠

حين تبلُغُ قلبَ الحياة، تَشعُر أَنْ لستَ أَرفعَ من المجرم، ولا دُون النبي.

١٦١

غريبٌ أَن تُشفقَ على بَليدِ الخطى لا على بليدِ الفكْر، وعلى أَعمى البصَر لا على أَعمى القلب.

١٦٢

الأَعرجُ الحكيمُ لا يكسر عكَّازه على رأْس عدُوِّه.

١٦٣

أَعمَّى مَن يعطيكَ من جيبه ما قد يأْخذُهُ من قلبِك.

١٦٤

الحياةُ موكبٌ يجده البليدُ سريعًا فيغادرُه، ويجده الرشيقُ بليدًا فيغادرُه كذلك.

١٦٥

إن كانت الخطيئةُ موجودة، منَّا مَن يُكرِّرُ اقترافها تَمَثُّلًا بأَسلافنا، ومنَّا مَن باقترافها يؤْذي صالحَ أَبنائنا.

١٦٦

الخيِّرُ الحقيقيُّ: مَن يتَّحدُ مع كلِّ معتَبَرٍ شرِّيرًا.

١٦٧

جميعُنا سجناء، منَّا في زنزاناتٍ ذاتِ فُتُحات، ومنَّا في أُخرى من دونها.

١٦٨

غريبٌ أَن ندافع عن أَخطائنا بأَشدَّ مما عن محاسننا.

١٦٩

لو تصارحنا بخطايانا لتَضاحكْنا من قلَّة الفَرادة. ولو تصارحنا بفضائلنا لتضاحكْنا للسبب إيَّاه.

١٧٠

يظلُّ الفرد أَعلى من شرائع البشَر حتى يقترفَ ما يخالف قوانينَهم، فلا يعود أَعلى من أَحد ولا دُونَ أَحد.

١٧١

الحكْمُ توافقٌ بينكَ وبيني. وكلانا غالبًا يُخطئ.

١٧٢

الجريمةُ اسمٌ آخَرُ للحاجة، أَو مؤَشِّرُ علَّة.

١٧٣

هل مِن خطإٍ أَكبرَ من وعي أَخطاءِ السوى؟

١٧٤

إذا سخِرَ منكَ الآخَر قد تُشفقُ عليه. وإذا سخرتَ منه، فلن تغْتفِرَ فعلَتَك. وإذا جرَحَكَ الآخَر قد تنسى الجُرح، أَمَّا إذا جرَحْتَه فلن تَنسى فعلتَك. الحقيقةُ أَنَّ الآخَرَ ذاتُكَ الرهيفةُ أُعطيَتْ جسدًا آخَر.

١٧٥

كم غافلٌ أَنتَ حين تَسأَلُ الآخرين التحليقَ بجناحَيْك، وتعجَزُ عن إِعطائهم ولَو ريشةً منهما.

١٧٦

جلس يومًا أَحدُهم إِلى مائدتي. أَكلَ رغيفي، وشرِبَ خمري، وخرَجَ ساخرًا مني. ثم عاد للرغيف والخمر فطَرَدْتُه، فسَخِرَ مني الملائكة.

١٧٧

البُغْض جثمان. من ذا يودُّ أَن يكون ضريحًا؟

١٧٨

شرَفُ القتيل أَنه ليس القاتل.

١٧٩

صوتُ الإِنسانية: قلبُها الصامتُ، لا فكرُها الثرثار.

١٨٠

يَرَونني مجنونًا لأَنني لا أُقايضُ أَيامي بذَهَب. وأَراهُم مجانين لأَنهم يَفترضون لأَيامي ثمنًا.

١٨١

يمدُّون أَمامنا أَغلى ذهبِهم وفضَّتِهم، عاجِهم وأَبنوسِهم، ونمدُّ أَمامَهم قلوبَنا والأَرواح. مع ذلك يَدَّعون أَنهم المُضيفون وأَننا الضيوف.

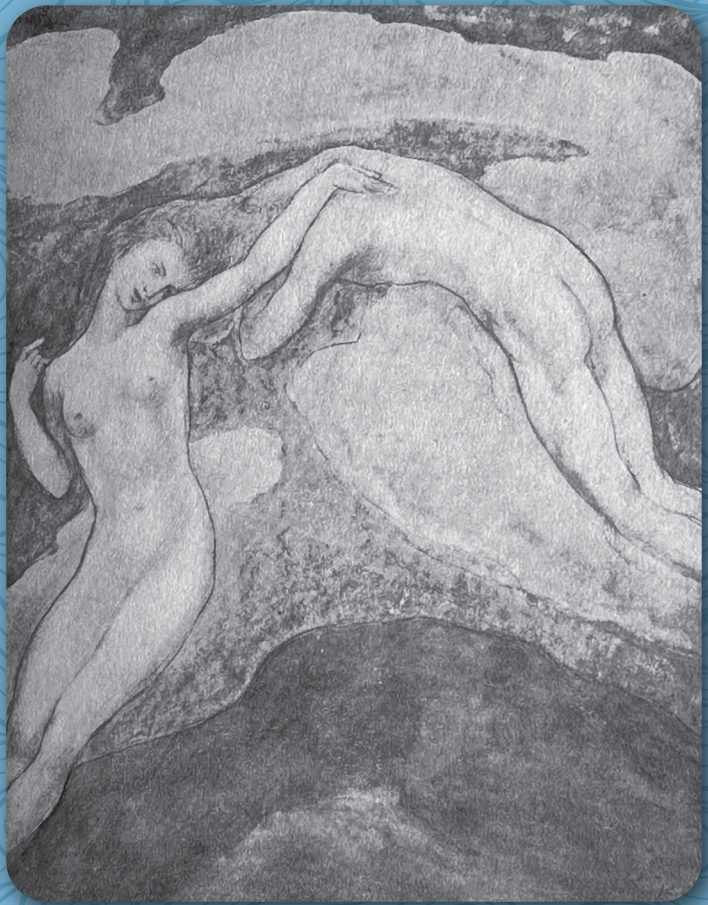

١٨٢

أَودُّني أَكونُ الأَقلَّ بين مَن لديهم أَحلامٌ يرغبون في تحقيقها، على أَن أَكون الأَكثرَ بين مَن لا أَحلامَ لديهم ولا رغبات.

١٨٣

أَتعسُ الناس مَن يقَيِّمُ أَحلامَه بالفضة والذهب.

١٨٤

جميعنا نُصعِّد صوب القمة حيثُ رغباتُ قلوبنا. فإِنْ جارُك المُصَعِّدُ اختطَفَ كيسَك وحقيبتَك وازداد ثروةً من الأَول ووزْنًا من الأُخرى، أَشفِقْ عليه لأَن تصعيدَه سيُثْقلُ خطاه، ويطيلُ المسافة. وإِذا أَنت بنحافتكَ رأَيتَه يَنُوءُ بحِمْله، ساعِدْهُ بالصعود فترشِقُ سرعتَك.

١٨٥

لا تحكُمْ على أَحدٍ بأَكثرَ من معرفتكَ عنه، وما أَقلَّها معرفتَك.

١٨٦

لن أُصغي لِمُحتلٍّ يعِظُ من احتلَّهم.

١٨٧

الحُرُّ الحقيقيُّ هو مَن صابرًا يحتَمل وثاقَ العبودية.

١٨٨

قبل أَلفِ سنةٍ قال لي جاري: «أَكرَهُ الحياةَ، فليسَ فيها سوى أَلم». وإِذْ مرَرْتُ أَمسِ بمقبرةٍ، رأَيتُ الحياةَ ترقُص على ضريحه.

١٨٩

الصراعُ في الطبيعة فوضًى تتوق إلى انتظام.

١٩٠

الوحدةُ عاصفةٌ صامتةٌ تُكسِّر جميع أَغصاننا اليابسة، لكنَّها تعمِّقُ جذورَنا الحيَّة نابضَةً في قلب التربة الحيَّة.

١٩١

مرَّةً حدَّثْتُ جدولًا عن البحر فخالني الجدولُ خياليًّا. ومرةً حدَّثْتُ البحر عن الجدول فخالني البحر مُشهِّرًا.

١٩٢

ما أَضيقَ رؤْيةً تمتدح دأْبَ النملة أَكثرَ من غناء الصرصار.

١٩٣

أَسمى الفضائلِ هُنا، قد تكون أَدناها في عالَم آخَر.

١٩٤

الأَعمقُ والأَعلى يبلُغان العمق والعُلُوَّ في خطٍّ مستقيم. وحدها الرحابةُ تتحرك دائريًّا.

١٩٥

لولا وعْيُنا الأَوزانَ والقياسات، لأَجلَلْنا سراجَ الليل كما نُجِلُّ نورَ الشمس.

١٩٦

عالِـمٌ من دون خيالٍ، جزَّارٌ سكينُهُ غيرُ مسنون، وميزانُه غيرُ متعادل. وما نفْعُهُما إيَّانا ولسنا جميعُنا نباتيين؟

١٩٧

حين تغنِّي، يَسمعُكَ الجائع بمعِدته.

١٩٨

ليس الموتُ أَقربَ إِلى العجوز منه إِلى المولود حديثًا. وكذا الحياة.

١٩٩

إِذا شئْتَ الصراحة، قُلْها بأَناقة. وإِلَّا فاصمُتْ لأَنَّ في جوارنا رجلًا يُحتَضَر.

٢٠٠

لعلَّ جنازةً لدى البشر، عرسٌ لدى الملائكة.

٢٠١

قد تموتُ حقيقةٌ منسيَّةٌ تاركةً في وصيَّتها سبعةَ آلافِ حدَثٍ وواقعةٍ تُصرفُ لِجنازتها وبناءِ ضريحها.

٢٠٢

نحن، واقعًا، لا نخاطب إلَّا ذاتَنا. لكننا أَحيانًا نُعْلي الصَوت فيسمعُنا الآخرون.

٢٠٣

الواضحُ هو ما لا نراه إلَّا حين أَحدٌ يُعَبِّر عنه ببساطة.

٢٠٤

لو لم تكُن المجرَّةُ بي، كيف لي أَن أَراها، أَو أُحسَّ بها؟

٢٠٥

لو لم أَكن طبيبًا، لَما صَدَّقَ زملائي الأَطبَّاءُ أَنني فَلَكيٌّ كذلك.

٢٠٦

قد تكون اللؤْلؤَةُ تعريفَ البحرِ الصَدَفَةَ، وحجَرُ الماس تعريفَ الزمنِ الفحمَ.

٢٠٧

الشهرة ظلُّ الشغَفِ واقفًا في هالةِ نُور.

٢٠٨

الجُذُورُ زهورٌ تترَفّعُ عن الشُهرة.

٢٠٩

لا علْمَ ولا دِينَ ما وراءَ الجمال.

٢١٠

لدى كُلِّ عظيمٍ عرفْتُهُ، مَلْمَحٌ ضَئيلٌ في شخصيَّته أَنقَذَهُ من الخُمولِ أَو الجنونِ أَو... الانتحار.

٢١١

العظيمُ فعلًا: مَن لا يَسُودُ على السوى، ولا يرضى أَن يَسودَ عليه أَحد.

٢١٢

لا أَظنُّ برجُلٍ سيِّئًا لِمجرَّدِ أَنه يقْتُل المجرمين والأَنبياء.

٢١٣

التَسَامُحُ هو الحبُّ مريضًا بداء الغطرسة.

٢١٤

تتَكوَّمُ الديدان وتستسلم. ولكنْ... أَليس غريبًا أَنْ حتى الفيَلَةُ تستسلم وتهوي؟

٢١٥

قد يكون الاختلافُ أَقصرَ الطُرُق بين فكْرَيْن.

٢١٦

أَنا الشرارةُ وأَنا الهشيمُ. بعضي يلتهمُ بعضي الآخر.

٢١٧

جميعُنا نُصَعِّد صوبَ قمة الجبل المقدَّس. أَفليسَ الأَسرعَ أَن نعتمدَ الماضي خارطةَ الطريق لا دليلًا؟

٢١٨

لا تعودُ حكْمَةً حكْمَةٌ ترفَّع عن البكاء، تتكبَّر على الضحك، وتتَعجْرف فلا تشعر إِلَّا بِحالها.

٢١٩

إِذا مَلأْتُني بكُلِّ ما تعرفُهُ أَنت، فأَنَّى بي فسحةٌ لكُلِّ ما لا تعرفُهُ بعد؟

٢٢٠

تعلَّمْتُ الصمتَ من الثرثار، والتسامحَ من الحاقد، واللُطفَ من اللئيم. والغريبُ أَني لا أُقرُّ بفضلِ أَيٍّ منهم.

٢٢١

المتعنِّتُ خطيبٌ متحجِّر السَماع.

٢٢٢

صمتُ الحاسدِ عالي الضَجيج.

٢٢٣

حين تبلغُ نهايةَ ما عليكَ أَن تعرفَ، تكونُ في بداية ما عليكَ أَن تُحِسَّ.

٢٢٤

المبالغةُ حقيقةٌ فقَدَتْ صوابها.

٢٢٥

إن لستَ ترى إلَّا ما يُريكَهُ النور، ولا تسمعُ إلَّا ما يُسْمعُكَ الصوت، فأَنتَ حقيقةً لا تَرى ولا تَسْمع.

٢٢٦

الواقعُ أَمرٌ لا جنْسَ له.

٢٢٧

لا يُمكنكَ أَن تَضحكَ وتَلْؤُمَ في آن.

٢٢٨

الأَقربُ إلى قلبي: ملِكٌ بلا مملكة، وفقيرٌ لا يعرفُ أَن يَتَسَوَّل.

٢٢٩

فشلٌ خجولٌ أَنْبلُ من نجاحٍ متعجرف.

٢٣٠

أُحفُرْ أَيَّ مكانٍ في التربةِ تَجدْ كنزًا، شرطَ أَن تحفُرَ بإيمان فلَّاح.

٢٣١

كان ثعلبٌ يطاردُه عشرون فارسًا، أَمامَهم يلهَث عشرون كلبًا. فكَّرَ: «سيقتُلُونني حتمًا. ولكنْ، ما أَشدَّ غباءَهم وجهْلهم: هل قتْلُ رجُلٍ واحدٍ يستحقُّ مطاردَتَهُ بعشرين ثعلبًا على ظهر عشرين حمارًا، ويلهثَ معهم عشرون ذئبًا»؟

٢٣٢

لا الروحُ فينا، بل الفكرُ هو الذي ينصاع للقوانين التي نسنُّها.

٢٣٣

سائح أَنا وبحَّار. وكلَّ يومٍ أَكتشفُ في روحي قارَّةً جديدة.

٢٣٤

قالت امرأَةٌ معترضةً: «طبعًا كانت حربًا شريفة الهدَف. فابْني سقَط فيها».

٢٣٥

قلتُ للحياة: «رغَبتي أَن أَسمَعَ الموت يتكلَّم». أَجابت الحياة بصوت أَعلى: «ها أَنتَ تسمَعُه».

٢٣٦

حين تَفْرَغُ من فكِّ أَسرار الحياة، ستَبْحث عن الموت، لأَنه سرٌّ آخَرُ من أَسرار الحياة.

٢٣٧

الولادةُ والموتُ أَنْبَلُ تعبيرَين عن الشجاعة.

٢٣٨

يا صديقي: أَنا وأَنتَ سنبقى غريبَيْن عن الحياة، وواحدُنا عن الآخَر، وكلٌّ منا عن ذاته، إِلى يومٍ تتكلَّمُ وأَسمعُكَ، فأَجدُ في صوتِكَ صوتي، وأَقفُ أَمامكَ فأَجِدُني أَمامَ مرآة.

٢٣٩

يقال لي: «إن عرفْتَ ذاتَكَ عرفْتَ جميعَ الناس»، وأَقول: «لن أَعرِفَني حتى أَعرفَ جميع الناس».

٢٤٠

في كُلٍّ منَّا اثنان: أَوَّلُ يَقِظٌ في العتَمَة، والآخَر نائمٌ في النور.

٢٤١

الناسكُ مَنْ يُشيحُ عن الأَجزاء، لينعمَ بالعالَم كُلًّا كاملًا من دون تفاصيل.

٢٤٢

بين العالِم والشاعر فُسحةٌ خضراء: إن عَبَرها العالِم أَصبح حكيمًا، وإن عبرَها الشاعر أَصبح نبيًّا.

## ٢٤٣

صادفتُ مساءَ أَمسِ في السوق فلاسفةً حاملين رؤُوسَهم في سِلالٍ، وينادون: «حكمةٌ للبيع... معَنا حكمةٌ للبيع». ما أَتعَسَهم: يحتاجون إِلى بَيْع رؤُوسهم كي يُقيتوا قلوبهم.

## ٢٤٤

قال فيلسوفٌ لكَنَّاسٍ في الشارع: «أُشفِقُ عليكَ. عمَلُكَ مُضْنٍ وقذِر». أَجاب الكنَّاس: «شكرًا سيِّدي. وأَنتَ، ما عمَلُكَ»؟ قال الفيلسوف: «أُحلِّلُ أَفكارَ الإِنسان وأَعمالَه ورغَباتِه». فأَجاب الكنَّاس مبتسمًا وهو يَمضي في الكناسة: «وأَنا أَيضًا أُشفِقُ علَيك».

٢٤٥

مَن يُصغي إلى الحقيقة، ليس أَدنى شأْنًا ممَّن ينطِق بها.

٢٤٦

لا يُمَيِّزُ بين الضروريَّات والكماليَّات إلَّا الملائكة، لأَنهم حكماء بَصيرون. ولعلَّهم أَفضَلُ بصيرةٍ لنا في الأَثير.

٢٤٧

الأَمير الحقيقيُّ مَن يَلْقى عرشَه في قلب الدرويش.

٢٤٨

الكَرَمُ أَنْ تعطي أَكثرَ مما يمكِنُك. والأَنَفَةُ أَن تأْخُذَ أَقلَّ مما تحتاج.

٢٤٩

الحقيقةُ أَنكَ لا تَدين بشيْءٍ لأَحد. وتَدين بكُل شيْءٍ للناس جميعًا.

٢٥٠

جميعُ مَن عاشوا في الماضي يعيشون معنا في الحاضر. ولا يَرغبُ أَحدٌ منا أَلَّا يكونَ مضيافًا.

٢٥١

مَن يتَشوَّقُ أَكثرَ، يعِشْ أَطْوَل.

٢٥٢

يقال لي: «عصفورٌ في قبْضةِ اليد، أَفضلُ من عَشرة في عُبِّ الشجرة»، وأَقولُ: «عصفورٌ وريشةٌ في الشجرة، أَفضلُ من عَشرةٍ في الكَفّ. رغبَتُكَ في تلك الريشة، هي الحياةُ بقَدَمَين مُجَنَّحَتَيْن. بلى: إنها الحياةُ بالذات».

٢٥٣

في حياتنا ما سوى عُنصُرَين: الجمال والحقيقة. الجمالُ في قلوب العشَّاق، والحقيقةُ في سواعد الفلَّاحين.

٢٥٤

الجمالُ الساطع يأْسِرُني. وأَسطَعُهُ بعد، يُحرِّرُني حتى منه.

٢٥٥

مَن يَتُوق إِلى الجمال، يَسْطعُ الجمالُ في قلبه أَكثرَ مما في عينَيه.

٢٥٦

أُقَدِّرُ مَن يكشِفُ لي فكْرَهُ. وأَحترمُ مَن يكشِف لي أَحلامه. فلماذا أَخجلُ، بل أَرتبِكُ قليلًا، أَمام مَن يخدمُني؟

٢٥٧

كان المُنَعَّمون يفاخرون بخدمة الأُمراء. اليومَ يفاخرون بخدمة المُعْوَزين.

٢٥٨

يُدرك الملائكةُ أَنَّ نفْعيِّين كثيرين يأْكُلون خُبزَهم بالعرقِ الناضح من جبينِ الحالمين.

٢٥٩

الذكاءُ غالبًا قناع. إن تنزَعْهُ تجِدْ عبقريَّةً ثائرةً، أَو بَراعةً مُشَعْوِذة.

٢٦٠

المتفهِّم ينسب إِليَّ التفَهُّم، والغبيُّ الغباءَ. وأَظُنُّ كلَيْهما مصيبًا.

٢٦١

وحدَهُم مَن في قُلُوبهم أَسرار، يحدُسْون أَسرارَ قلوبنا.

٢٦٢

مَن يشاركُكَ لذَّتَكَ دون أَلَمِك، يَخسَر مفتاحَ واحدٍ من أَبواب الجنة السبعة.

٢٦٣

بلى، نشْوةُ النيرفانا موجودة: في سَوقِك خرافَك إلى مرعًى أَخضَر، وتمديدِك طفلَكَ في سرير النوم، وكتابتِك آخرَ بيتٍ من قصيدتك.

٢٦٤

نختار أَفراحَنا وأَحزانَنا، طويلًا حتى قبل أَن نَعيشَها.

٢٦٥

ما الحزنُ سوى جدارٍ بين حديقَتَيْن.

٢٦٦

كلَّما كبُر حزنُكَ أَو فرحُكَ، صغُرَتِ الدنيا في عينيك.

٢٦٧

الرغبةُ نصفُ حياة. واللامبالاةُ نصفُ موت.

٢٦٨

أَمَرُّ ما في حُزننا اليوم: تَذَكُّرُ فَرَحِنا أَمس.

٢٦٩

يقال لي: «عليك الخيار بين ملذَّاتِ هذا العالم، وسلامِ العالم التالي». وأَقول: «بل اخترتُ معًا ملذاتِ هذا العالم، وسلامَ العالَم التالي، لأَني أُدرك بقلبي أَن الشاعرَ الأَعظم لم يكتُبْ سوى قصيدةٍ واحدةٍ، لكنها تامَّةُ الوزن، صحيحةُ القوافي».

٢٧٠

الإيمانُ واحةٌ في القلْب لن تبلُغَها قافلةُ التفكير.

٢٧١

حين تبلُغُ قمَّتَك، لن تشتهي إِلَّا الاشتهاء، ولن تجوعَ إِلَّا إِلى الجوع، ولن تعطَش إِلَّا إِلى عطَشٍ أَكثر.

٢٧٢

إِن أَفشَيتَ للريح سرَّك، لا تلُمْها إِن أَفْشَتْهُ للأَشجار.

٢٧٣

أَزهارُ الربيعِ أَحلامُ الشتاء تُروى للملائكة عند مائدة فَطُورهم.

٢٧٤

قال غريرٌ نَتِنٌ لنرجسةٍ فوَّاحة: «هاكِ كيف أَركضُ رشيقًا، فيما تعجزين عن المشي وحتى عن الزحف». أَجابت النرجسة: «أَيها الراكضُ النبيل الرشيقُ، هلَّا واصلْتَ الركض برشاقتك؟»

٢٧٥

السلاحفُ خبيرةٌ بالطرقات أَكثر من الأَرانب البرِّيَّة.

٢٧٦

غريبٌ أَنَّ للرخَوياتِ أَصدافًا أَقسى مما للفقاريات.

٢٧٧

الأَكثرُ ثرثرةً هو الأَقلُّ ذكاءً. ولذا الفرقُ ضئيلٌ بين الخطيب والسمسار.

٢٧٨

إمتَنَّ أَنْ لستَ تعيشُ ظلًّا لِشهرة والدٍ ولا متنعِّمًا بثروة عَمٍّ. وأَهَمُّ امتنانكَ أَنْ لَنْ يتنعَّمَ أَحدٌ بشهُرتِكَ ولا بثروتك.

٢٧٩

لا يُعجبُني البهْلوان إِلَّا لحظةَ يفشَلُ في التقاط كُرَتِه.

٢٨٠

الحسودُ يمتدَحُني وهو لا يدري.

٢٨١

طويلًا بَقيتَ حُلْمًا في نوم والدتِك، حتى استيقظَتْ لتلِدَك.

٢٨٢

بذْرةُ جنسِكَ كائنةٌ في تَشَوُّق أُمِّك.

٢٨٣

رغبَ والدايَ في ولَد فَأَنجباني. ورغبتُ في والِدَيْن فأَنجبْتُ عتَمَةَ الليل ووسْعَ البحر.

٢٨٤

بعضُ أَولادنا تبريرُنا. وليس البعض الآخَرُ سوى ندمِنا.

٢٨٥

حين يأْتي الليلُ وتكون عاتمًا مثلَه، تَمَدَّدْ واعْتِم بإرادتِك. وإذا جاء الصباحُ وبقيتَ عاتِمًا، إنهض وصارح النهار بإرادتك: «ما زلتُ عاتمًا». غباءٌ أَن تخدَع الليل والنهار. كلاهما سيَسْتَسْخِفُك.

٢٨٦

الجبلُ المغمورُ بالضباب ليس تلَّة. والسنديانةُ تحت زخِّ المطَر ليست صفصافةً باكية.

٢٨٧

إليكَ هذا التناقُض: العُمْق والعُلُوُّ متقاربان أَكثرَ مما يتوسَّطهما.

٢٨٨

حين وقفْتُ أَمامكَ مرآةً صافيةً، رأَيْتَ إِليَّ فرأَيتَ صورتَك وقلتَ: «أُحبُّك». لكنَّ الحقيقةَ أَنْ كنْتَ تحبُّ أَناكَ بي.

٢٨٩

حين تَتَنَعَّمُ بحُبِّكَ جارَك، لا يعود حبُّكَ فضيلة.

٢٩٠

حبٌّ ليس نبعًا متواصلًا، مَوَاتٌ متواصل.

٢٩١

لا يمكن أَن تكون شابًّا وتَفهمَ شبابَك في آن. فالشبابُ منصرفٌ عن فهْمه إِلى أَن يعيشَ، والفهْمُ منصرفٌ عن عيشه إِلى البحث عن ذاته.

٢٩٢

قد تجلس إِلى نافذتكَ تراقب العابرين: ترى إِلى يمينكَ راهبةً، وإِلى يسارك عاهرة، فتَفْتَكر ببراءة: ما أَنبلَ الأُولى وأَحطَّ الأُخرى. لكنكَ، إِن أَغمضتَ عينيْكَ وأَصغيتَ، تسْمع همسًا من الأَثير: «الأُولى تُناديني مصلِّيَةً، والأُخرى متألِّمة. وفي روحِ كلٍّ منهما مظلَّةٌ لروحي».

٢٩٣

مرَّةً كلَّ مئةِ سنةٍ يتلاقى يسوعُ الناصريُّ ويسوعُ النصارى في حديقةٍ بين جبال لبنان، فيتحادثانِ طويلًا. وكلَّ مرَّةٍ ينصرفُ يسوعُ الناصريُّ قائلًا ليسوعِ النَصارى: «أَخشى يا صديقي أَننا لن نتَوافقَ أَبدًا».

٢٩٤

أَلَا أَشْبَعَ الربُّ المُتْخَمين.

٢٩٥

للرجل الاستثنائيِّ قلبان: أَولُ يَنزف، والآخَرُ يَحتمل.

٢٩٦

لو نَطَقَ أَحدُهم بكِذْبةٍ لا تؤْذيكَ ولا تؤْذي أَحدًا، لِمَ لا تفكِّرُ بأَنَّ حَيِّزَ مآتيه أَضيقُ من رغباته، لذا تَخلَّى عنه إِلى حيِّزٍ أَوسع؟

٢٩٧

خلْف كلِّ بابٍ مُغْلَق، سرٌّ مُطْبَقٌ بسبعة أَختام.

٢٩٨

الانتظارُ حوافرُ الوقت.

٢٩٩

ماذا أَن تكونَ المشكلةُ نافذةً جديدةً في جدار بيتكَ شرقًا؟

٣٠٠

قد تنسى مَن ضحكتَ يومًا معه، لكنكَ لن تنسى من بَكَيْتَ معه ذات يَوم.

٣٠١

لا بُدَّ أَنَّ في الملْحِ أَمرًا غريبًا مقدَّسًا. فهُو ذاتُهُ في دموعنا وفي البحر.

٣٠٢

لإلهنا، عند عطَشِه المقدَّس، أَن يشربَنا جميعًا، دمعةً كنَّا، أَو قطرةَ ندى.

٣٠٣

لستَ سوى فِلْذةٍ من ذاتكَ العظمى: فمٍ جائع إلى لُقْمة، وكَفٍّ كَفيفةٍ تُسْدي كأْسًا إلى فمٍ عَطشان.

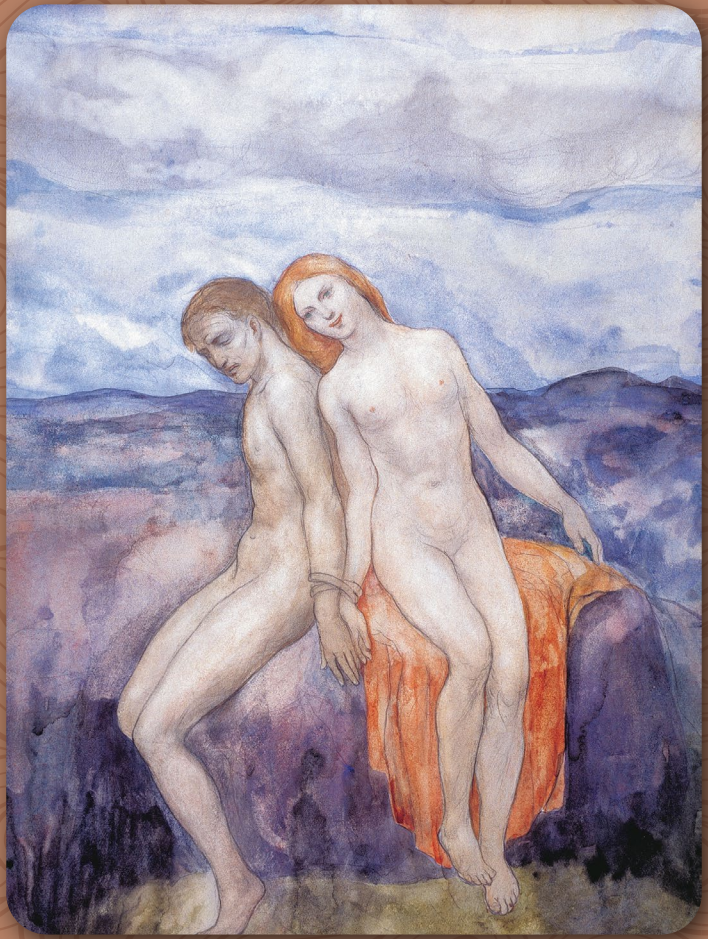

٣٠٤

إذا تساميْتَ ذراعًا واحدةً أَعلى من جنْسِكَ ووطنِكَ وذاتِكَ، تصبحُ فعلًا بعضَ إِله.

٣٠٥

لو انني أَنتَ، لَما لُمتُ البحر عند الجَزْر. فالسفينةُ ثابتةٌ، والربَّانُ حاذق. لكنَّ المشكلة في معِدتِك.

٣٠٦

ما إِليه نتوقُ ونعجَز عن بُلُوغه، أَعَزُّ لدينا ممَّا بلغْناه.

٣٠٧

إذا امتطيتَ غيمةً، لن ترى الحدُودَ بين بلدٍ وآخَر، ولا الحافَّة الفاصلةَ مزرعةً عن أُخرى. ما أَتعسَ أَنْ تعجَز عن امتطاءِ غيمة.

٣٠٨

قبل سبْعةِ قُرُونٍ طارت سبعُ حماماتٍ بيضٍ من عمْق الوادي إلى قمة جبل ثلجية. وكان سبعةُ رجالٍ يراقبونها. قال أَحدُهم: «أَرى بقعةً سوداءَ على جناح الحمامة السابعة». اليوم، يتحدَّثُ سكَّانُ ذاك الوادي عن سبع حماماتٍ سُودٍ طارت إلى قمة الجبل الثلجية.

٣٠٩

في الخريف لَملَمْتُ جميعَ أَحزاني، وطمَرْتُها في حديقتي. حين جاء نيسان ووصل الربيع كي يتزَوَّجَ الطبيعة، ازدانت حديقتي بزهورٍ أَجمل من سائر الزهر. وإِذ جاء جيراني ورأَوها بادروني: «حين يعودُ الخريف ويحِلُّ موسم البذار، هل تعطينا من بُذُور زهورك نَزرعها في حدائقنا»؟

٣١٠

التعاسةُ أَن أَبسُط كفِّي فارغةً فلا يملأُها أَحد. واليأْسُ أَن أَبسُطَ كفِّي مليئةً ولا يُفرغُها أَحد.

٣١١

أَتُوقُ إِلى الخلُود، لأَني أَلْتَقي فيه قصائدي التي لم أَكْتُبْها، ولوحاتي التي لم أَرسُمها.

٣١٢

الفنُّ خَطوةٌ من الطبيعة صوبَ المُطلق.

٣١٣

الأَثَرُ الفنيُّ صورةٌ منحوتةٌ في ضبابة.

٣١٤

الأَكُفُّ التي تُشكِّل بالشَوك تيجانًا، أَفضلُ من أَكُفٍّ خاملة.

٣١٥

أَقدسُ دُموعنا لا تنهملُ من مآقينا.

٣١٦

كلُّ إنسانٍ حفيدُ أَيِّ ملكٍ وأَيِّ عبْدٍ سبَقاهُ إلى هذه الحياة.

٣١٧

لو انَّ جَدَّ جدِّ يسُوع عرفَ مَن سينبضُ منه لاحقًا، أَما كان افْتَتَنَ بذاته؟

٣١٨

هل حبُّ أُمٍّ يهُوذا طفلَها، كان أَقَلَّ حنانًا من حبِّ مريمَ يَسُوع؟

٣١٩

لأَخينا يسُوع معجزاتٌ ثلاث لم تُدوَّن بعد: كان إنسانًا مثلَك ومثلي، وصاحبَ دُعابة، ومدركًا غَلَبَتَهُ ولو انه غُلِب.

٣٢٠

أَيها المصلُوب: أَنتَ مصلوبٌ على قلبي. والمساميرُ المغروزةُ في كفَّيْك غارزةٌ في شَغاف قلبي. وغدًا، حين يمرُّ بالجلجلةِ غريبٌ، لن يعرف أَن اثْنَين نَزَفا، بل يرى ما يظنُّه دمَ نازفٍ واحد.

٣٢١

لعلَّكَ سمعتَ بالجبل المقدَّس، أَعلى جبالِ عالَمنا. إِنْ بَلَغْتَ قمَّتَه، لا تَكُنْ لكَ سوى رغبةٍ وحيدة: أَن تنحدرَ وتُساكنَ أَهلَ أَعمقِ وادٍ. فإِنما لهذا سُمِّيَ «الجبل المقدَّس».

٣٢٢

كلُّ فكرةٍ حبسْتُها في عبارة، عليَّ أَن أُحرِّرها بأَفعالي.

مؤَلفات

# هنري زغيب

## ١. في الشعر:

- **إيقاعات** (بيروت ١٩٨٦ – طبعة ثانية ٢٠٠٢).
- **قصائدُ حُب في الزمن الممنوع** بالإنكليزية: ترجمة عدنان حيدر ومايكل بيرد (واشنطن١٩٩١- طبعة ثانية بيروت ٢٠٠٥).
- **سمفونيا السقوط والغفران** (واشنطن ١٩٩٣- طبعة ثانية بيروت ٢٠٠٤).
- **من حوار البحر والريح** (واشنطن ١٩٩٤- طبعة ثانية بيروت ٢٠٠٤).
- **أَنتِ... ولْتَنْتَهِ الدنيا** (٢٠٠١).

- **تقاسيم على إيقاع وجهِكِ** (٢٠٠٥).
- **مِنصَّة** (٢٠٠٦).
- **ربيعُ الصيف الهنديّ** (٢٠١٠).
- **على رمال الشاطئ الممنوع** (٢٠١١).
- **داناي... مطرُ الحب** (٢٠١٦).

## ٢. في النشر:

- **لأَنني المعبد والإِلَهَةُ أَنتِ** – ١٩٨١.
- **أَنطولوجيا القصة اللبنانية** [في جزءين] ١٩٨١.
- **الضيعة اللبنانية بأَقلام أُدبائها** – ١٩٨٢.
- **سلسلة كتب للقراءة والقواعد العربية** [٤ أَجزاء] ١٩٧٣–١٩٨٣.
- **صديقةُ البحر** (١٩٩٨، طبعة ثانية ٢٠٠٥).
- **الأَخَوَين رحباني – طريقُ النَّحل** (٢٠٠١).
- **حميميات** (٢٠٠٣). ثم طبعة مترجَمَة (٢٠٠٧) لدى منشورات جامعة سيراكيوز – نيويورك في أَربع لغات: عربية، إِنكليزية (ترجمة عدنان حيدر ومايكل بيرد)، فرنسية (ترجمة ربى سابا حبيب)، وأَلمانية (أُورسولا نوفاك عساف).
- تنسيق وتقديم **المجموعة المسرحية الكاملة للأَخوين رحباني** ٢٠٠٤–٢٠٠٥ (٢٠ جزءًا).

- **نقطة على الحرف** (٢٠١٠).
- **سعيد عقل إنْ حكى** (٢٠١٠)، صدَر في الفرنسية بترجمة أَنجِليك بْعَينو (٢٠١٤)
- **لُغاتُ اللغة** – نُظُمُ الشِعر والنَثْر بين الأُصُول والإبداع (٢٠١٠).
- **جبران خليل جبران – شواهدُ الناس والأَمكنة** (٢٠١٢) صدَر في الإنكليزية بترجمة أَنجِليك بْعَينو (٢٠١٧).
- **نزار قباني... متناثرًا كريش العصافير** (٢٠١٣).
- **الياس أَبو شبكة من الذكرى إلى الذاكرة** (٢٠١٤).
- **في رحاب الأَخوَين رحباني** (٢٠١٥).
- **جواهر عُمْر** ترجمة وتقديم كتاب رُنيه دو أُوبالديا عميد الأَكاديميا الفرنسية (٢٠١٩)
- **لعازر وحبيبتُه – المجنون** ترجمة وتقديم حواريَّتين لجبران خليل جبران (٢٠٢٠)
- **جبران... هذا الرجل من لبنان** (٢٠٢١)

- كتاب **النبي** لـجبران خليل جبران، ترجمة جديدة مع مقدمة موسَّعة (٢٠٢٣)
- **كتاب الرَمل والزَبَد** _ ترجمة جديدة مع مقدمة موسَّعة (٢٠٢٦)
- **مقدِّمات** جميع كتُب منشورات مركز التراث اللبناني في الجامعة اللبنانية الأَميركية LAU – بيروت
- **افتتاحيات** جميع أَعداد مجلَّة «مرايا التراث» – مركز التراث اللبناني في الجامعة اللبنانية الأَميركية LAU – بيروت
- **مقدِّمات** عدد كبير من الكُتُب الأَدبية والفكرية والتراثية

## ٣. كُتُب صَدَرَتْ إلكترونيًّا

- **نقطة على الحرف** – الجزء الثاني (٢٠١٦)
- **في دينامية الحُب والسياسة** (٢٠١٧)
- **في البدء كانت الحرُوف** (٢٠١٧)
- **رُؤَساء مَرضى حَكَمُوا العالَم** (٢٠١٩)
- **كِتاب الأَحد** – الجزء الأَول (٢٠٢٠)
- **كِتاب الأَحد** – الجزء الثاني (٢٠٢١)

كأَنَّ لجامعتنا، مع جبران، مواعيدَ مئويةً متتَاليةً، كما لنؤْمنَ أَكثرَ كمْ أَنَّ هذا العبقريَّ اللبنانيَّ العالَميَّ يتجدَّد حيًّا كلَّ مئةِ عامٍ، في كلِّ أَثَرٍ تركَهُ للخُلود، فيولدُ من جديدٍ مع كلِّ مئوية.

إنها مسيرتُه معنا لدى كلِّ مئويةٍ من مؤَلَّفاته. وها مئوية «كتاب الرَمل والزَبَد» هذا العام، تَشهدُ ولادةَ ترجمةٍ جديدةٍ له، تُضيف إلى منشوراتنا الجامعية أَثَرًا جديدًا يكرِّسُ إيمانَ جامعتِنا بأَنَّ لها، مع الرسالة الأَكاديمية، رسالةً وطنيةً تجعل من ثمار التعليم العالي ركيزةً أَساسيةً في بناء لبنان.

**د. شوقي عبدالله**

رئيس الجامعة اللبنانية الأَميركية LAU

في هذا الكتاب فِلْذاتٌ من أَصفى كتابات جبران وأَقرَبِها حميميةً إِليه. ترجمتُها بمفرداتٍ من لُغَة اليوم لا بِلُغَةِ العصر التي وُلِدَت فيها. فاللغةُ تتطوَّرُ. تَسقُط منها كلماتٌ لم تَعُد مستعمَلةً، أَو تبقى مُستعمَلةً بيَّغائيًّا. وإِلى الـ«فلذات»، ضمَمْتُ وثائقَ ونصوصًا لن يكون لها متَّسعٌ إِلَّا في هذه الطبعة. وها هي بين يديك خلاصةٌ جوهرية لفكر جبران، رأَى فيها حبَّاتِ رَملٍ وفُقاعاتِ زَبَد. وربما لم يحدُس أَنها، بعد ١٠٠ سنة على صدورها، ما زالتْ حبَّاتُها نابضةً وفُقاعاتُها خصيبةً، وأَنَّ أَجيالًا متعاقبَةً بعدُ ستَنهَلُ عِبَرًا من صفحاتِ حياةٍ في «كتاب الرَمل والزَبَد».

**هنري زغيب**

من المقدِّمة

ISBN 995346161-9